16 em Année No. 763

Lundi — 16 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٦٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ١٦ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أســـئلة في سؤالين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

سؤال عن الله ، وسؤال عن « الفاروق » خليفة رسول الله .

أما السؤال عن الله فهو من الأديب « عبد الستار شمس الدين » الطالب بالجامعة الأمريكية في بيروت ، وفيه يقول : « إن الدكتور عبد الرحمن بدوي ألقى محاضرة عن الجانب الصوفي من حياة النبي في قاعة (وست) بالجامعة الأمريكية فقال : إن محمداً رأى ربه عند ما بلغ الغاية من عبادته الصوفية ، واستشهد بالآيات التالية من سورة النجم ... « وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى » .

فإذا كان ما قال الله صحيحاً فهل الله جسم ؟ وهل هذه الصفة الجسمية تجعله واجب الوجود ؟ وهل تتعارض هـذه مع الآية : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

والمشهور المتفق عليه بين المفسرين — ومنهم أهل السنة والشيعة والفلاسفة — أن المقصود بالرؤية هنا هو الروح الأمين رسول الوحي جبريل : « إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شـديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » .

فالإمام الرازي وهو من الفلاسفة يقول : « والمشهور أن هو ضمير جبريل ... والظاهر أن المراد محمـد صلى الله عليه وسلم . معناه استوى بمكان — وهو بالمكان العالي رتبة ومنزلة في رفعة القدر — لا حقيقة في الحصول في المكان . فإن قيـل : كيف يجوز هذا والله تعالى يقول : ولقد رآه بالأفق المبين إشارة إلى أنه رأى جبريل بالأفق المبين ؟ نقول : وفي ذلك الموضع أيضاً نقول كما قلنا هاهنا أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالأفق المبين ، يقول القائل : رأيت الهـلال . فيقال له : أين ؟ فيقول : فوق السطح . أي أن الرائي فوق السطح لا المرئي » .

والشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علمـاء الإماميـة يقول في مجمع البيان : « معناه : ولا يتـكلم بالقرآن وما يؤديه إليكم من الأحكام إلا بوحي من الله يوحى إليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله : علمه شـديد القوى يعني جبرائيل ، أي القوى في نفسه وخلقته ، عن ابن عباس والربيع وقتادة » .

وهذا أيضاً هو المعنى المشهور بين أهل السنة من الأقدمين والمحدثين .

أما رؤية الله — من حيث هي بحث مستقل عن تفسير هذه الآية — فهي موضوع كثر فيه الخلاف بين المعتزلة والمتكلمين .

فالمعتزلة عامة يمنعون الرؤية لأنها في رأيهم لا تـكون إلا لمحسوس .

والمتكلمون لا يمنعونها ، بل يجيزون رؤية كل موجود على اعتبار أن الرؤية نوع من العلم ، وأن العلم يحصل بغير اتصال النور بين الرائي والمرئيات .

ومن الفلاسفة من يوافق المتكلمين في ذلك على هذا الاعتبار .

قال الفارابي : « الحق الأول لا يخفى عليه ذاته ، وليس ذلك بالاستدلال . فجائز على ذاته مشاهدة كماله من ذاته ، فإذا تجلى لغيره مغنياً عن الاستدلال ، وكان بلا مباشرة ولا مماسة كان مرئياً لذلك الغير . . . وإذا كان في قدرة الصانع أن يجعل قوة هذا الإدراك في عضو البصر الذي يكون بعد البعث لم يبعد أن يكون تعالى مرئياً يوم القيامة من غير تشبيه ولا تكييف ولا مسامتة ولا محاذاة تعالى عما يشركون » .

ويتكلم أبو البركات هبة الله في كتابه المعتبر عن المدركات بغير الآلات ، فيقول : « إنما يتم إدراكها للنفس بذاتها عند تجردها عن آلاتها بالتفاتها عنها إلى ذاتها » .

ثم يقول : « حتى تنتهي إلى ما يرى كل شيء ويصدر عنه وجود الأنوار بأسرها ، خفيها وظاهرها ، وعلتها ومعلولها ، فهو نور الأنوار كما هو مبدأ المبادي ، فهو أبعد من أن يرى بالعين ، وأحق بأن يرى ، لكونه الأظهر في الوجود ، والأسبق والأحق بالوجود . فالنفس إذا تطلعت بذاتها نحو مبادئها وعادت بنظرها إلى جهة بدايتها انتهت بنظرها إليه واستعانت بمبادئها القريبة عليه » .

وبهذا المعنى يتفق المتكلمون والفلاسفة على أن رؤية الله علم لا يأتي من طريق العين كما نرى هذه المحسوسات . فليست هي ملازمة للتجسيد ولا تدل عليه . وما البصر الحسي نفسه إلا نوع من الترجمة يمثل لنا ما نحسه ولا يعطينا صورته على التحقيق ، فلا امتناع لقيام معنى الوجود الإلهي في وجدان الإنسان على نحو من إدراك المعاني يخلو من كل تجسيد » .

ولا نعرف أحداً قال برؤية الله حساً غير جماعة المجسمة الذين يفهمون الوجه واليد كما يفهمون أعضاء الأجسام ، وهم فئة لا يؤبه لها في العلم ولا في الدين .

* * *

وأما السؤال عن الفاروق خليفة رسول الله ، فهو من الطالب الأديب «عبد المنعم محمد السيد» بالقسم التوجيهي بمدرسة دمياط الثانوية .

وفيه يسأل عن مهابة عمر فيقول : « أوردت في الكتاب قصة النبي عليه السلام مع زوجته عائشة وسودة حين لطخت كل منهما وجه الأخرى بالحريرة . فضحك النبي ثم أمرهما بأن تغسلا وجهيهما حين مر عمر فناداه النبي ... وهذه القصة اختلفت أنا والأستاذ في تفسيرها لأنني أرى أنها لا تثبت هيبة النبي لعمر — وإن كان ذلك صحيحاً — لأنني أظن ظناً يرتقي إلى مرتبة الاعتقاد أنه لو رأى رجل غير عمر ودعاه محمد رسول الله إلى منزله لأمر زوجتيه بأن تغسلا وجهيهما ... » .

ونحن مع ترحيبنا بهذه الملاحظة وتقديرنا لذكاء الطالب النجيب في التفاته إليها ، نحب أن نلفت نظره إلى شيء غاب عنه ، وهو يتكلم عن المهابة وما إليها .

فالمهم في وصف المهابة وما يماثلها من الأحاسيس النفسية ، كوصف الجمال أو الدهشة أو الخوف ، إنما هو فيما يقوم بالنفس من آثارها قبل كل شيء .

فإذا قال لك أحد : إنني أحببت هذا المنظر لأنه جميل ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تحب جماله ولم تشعر بأنه جميل ، وإن خالفته كل المخالفة في تصور الجمال .

وإذا قال لك أحد : إنني دهشت لهذا الخبر ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تدهش له ؛ لأنه لا يدهش .

وإذا قال لك أحد : إنني أخاف الظلام أو أخاف الفضاء الواسع ، أو أخاف الحجرات المغلقة ، فليس لك أن تكذب خوفه ، وإن جاز لك أن تكذبه في أمثال هذه المواضع ولا تخاف

وكذلك حين تقول لنا السيدة عائشة أنها هابت عمر وشعرت بأن النبي يهابه ، لا يحق لنا أن نقول لها : كلا . ليس في الأمر ما يدعو إلى المهابة .

وينبغي أن نذكر في هذه القصة — على الخصوص — أن السيدة عائشة امرأة ، وأن المرأة أحس لهذه المعاني وأفطن ؛ لأنها خلقت لتحس الرجل ، ولا سيما جانب المهابة والقوة فيه .

فإذا وقع في نفسها أنها هابت عمر وشعرت بمهابة النبي له ، فليس للمهابة دليل نفساني أصدق من هذا الدليل ،

وأشار الطالب النجيب إلى قولنا بعد ذلك : « إن من أدب الرسول عليه السلام أنه كان يرعى تلك الهيبة رضى عنها واغتباطاً بها في نصرة الحق وهزيمة الباطل وتأمين الخير والصدق

وإخافة أهل البغى والبهتان .

ثم سأل : ماذا نقصد بكلمة « أدب » بالضبط ؟ أحسن تقدير هو أم ما ذا ؟

ويبدو لنا أن الذى دعا الطالب النجيب إلى هذا السؤال ما سبق إلى فهمه من أن الأدب لا يكون إلا من صغير لكبير.

والواقع أن الأدب صفة مطلوبة فى كل معاملة ، كما تطلب فى أدب الراعى نحو الرعية ، وأدب السيد نحو الخادم ، وأدب العظيم نحو الصغير .

وأدب النبى هنا هو أدب المربى الذى يتعهد أتباعه ومريديه فيهيئ كلا منهم لما يصلح له ، ويقوى فيه ما يصلح مع القوة ، ويضعف فيه ما ليس به صلاح له ولا لغيره . ومهابة عمر إنما هى مهابة للعدل والحق والإيمان ، فمن الخير أن يبقيها له وينتظر منها النفع للدين ومعتقديه .

وفى الأسئلة بقية ترجع إلى جملة من الكلام على صفات الفاروق ، بعد رواية ما قيل عن إقامته الحد على ولده عبد الرحمن

وهذه هى الجملة : « لو كان المصدر واحداً معروفاً بالحذق فى القصص لحسبناها من وضعه وتلفيقه . ولكنها سمعت من غير مصدر موثوق به ، فهى أقرب إلى الواقع » .

والسؤال هو : أتقصد أنها سمعت من مصدر غير موثوق به أم أنها سمعت من أكثر من مصدر واحد موثوق به ؟

وعلى قدر ما كان الطالب موفقاً فى سؤاله عن المهابة خانه التوفيق فى هذه الأسئلة . فلا يمكن أن يكون المقصود مصدراً واحداً ؛ لأننا استبعدنا ذلك ، ولا يمكن أن يكون عدة مصادر غير موثوق بها ؛ لأننا نقول إنها أقرب إلى الواقع ، ولا التباس بعد هذا فى المعنى لأننا ننفى وحدة المصدر ، وننفى وضعه وتلفيقه ونقول قبل ذلك عن القصة « إننا لا نستغربها فى جميع تفصيلاتها إلا حين تطرأ عليها المبالغة التى تتسرب إلى كل خبر من أخبار البطولات المشهورة ... »

وبعد ، فهو على كل حال اجتهاد يدل على حب الفهم والاسترشاد

عباس محمود العقاد

من أحاديث الإذاعة : (*)

حكمة القـــدر

للاستاذ على الطنطاوى

دخل علينا أمس ، وكنا جماعة فى المجلس صديق لنا ، فقال : إن ابنة الأستاذ حبيب زحلاوى قد سقطت من الطبقة السادسة إلى الشارع ! فارتعنا جميعاً ، وأعظمنا الخطب ، وكنا نعرفها طفلة حلوة ملء إهابها الطهر والجمال والنشاط ، فلم نستطع أن نتصورها وهى مزق من اللحم قد اختلط بعضه ببعض ، ووجمنا وكانت سكتة لم يقطعها إلا ضحك صديقنا المخبر ، فعرفنا أنها مزحة ثقيلة من مزحاته ، وأقبلنا عليه نسبه ونشتمه ، فقال : والله ما كذبت عليكم ، ولقد وقعت من الطبقة السادسة ولكنها لم تصب بشىء ، وهى سليمة ...

فصرخنا جميعاً : سليمة ؟ ! قال : نعم والله . ألا تصدقون ؟ إنها وقعت على حبال الغسيل الممدودة بين الشرفتين حيال الطبقة الخامسة ، فعاقتها قليلا ، ونفذت منها إلى حبال الطبقة الرابعة ، وما زالت تمر من حبال إلى حبال ، حتى إذا بلغت الشارع ، كانت سقطتها على كومة من الرمال ، صبتها سيارة صباح ذلك اليوم ، فلم تصب بأذى .

ومضى يحلف ويذكر الإيمان أن الذى يرويه هو الصدق والحق ، وأن صبياً لصديق آخر لا أسميه لئلا أسوءه ، وأذكره بمصابه ، وقف على مكتب أبيه يلعب ، فرأى صورة معلقة بالجدار ، فوثب يريد أن يصل إليها ، فوقع على أرض الغرفة ، وكانت من البلاط ، وكانت السقطة على يافوخه ، فمات لساعته ...

وقال معلقاً ومتفلسفاً : ففيم إذن نفكر وندبر ، ما دام لا ينفعنا فكر ولا يفيدنا تدبير ، ولم لا ندع الأمور للقدر ونتركها تجرى فى أعنتها كما يريد لها مجريها ، ما دمنا لا نملك أنفسنا ولا نعرف مصائرنا ، وما دام هذا الكون كالمعمل الضخم ،

(*) سجل فى مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى فى القدس .

شتبك الآلات ، المتعدد الحركات ، وماثمن الإمسار صغير فيه ، بير كما يسيرنا (مهندسه) الأعظم ...

وأسرع واحـد منا ، فقال مصدقاً : نعم ، ولكنا خلقنا نقاء ، وأقمنا هدفاً للمصائب ، ووضعنا في دنيا ما فيها إلا الآلام ن سلم منها اليوم وقع غداً ، ومن لم يمت ولده من سقطته مات ع علته ، أو مات وهو صحيح معافى ما من الموت بد ... ولا بد ن الموت من البلايا والمتاعب ...

وتكلم ثالث ، يرى نفسه من كبار العقلاء ، فأنكر القدر ، بجحد القدر . وزعم أن الحياة ليست إلا عجينة في يدك ، أنت رها وتصورها ، فإن صنعت منها تمثال غادة جميلة كان لك جمالها ، ن عملت منها هولة قبيحة كان عليك قبحها ... إن مرضت ن إنلالك الغذاء وإهمالك التوقى ، وإن دعست[1] فمن تركك ـذر ، وإن افتقرت فمن قعودك عن السعي . . . وأمثال ا الكلام .

فقلت له : فلم ولد هذا في دار علم وتهذيب فتعلم وعرف سبل قاية ، وخطر الأمراض ، ونشأ ذاك في بيت جهـل وفساد ، ب جاهلا فاسداً ، لا يعرف كيف يتقي الداء ، ولماذا دعس ا من قلة حـذره ، وسلم من هو أقل منه حذراً ، وطريقه أشد طراً ، ولماذا يسعى الرجل حتى تنقطع من السعي أنفاسه ويرجع يصل ولا إلى مثل خفي حنين ، وتأتي الأموال لآخر بلا سعي ' طلب ؟ ...

ولماذا يتاح لهذا النابغة أن يظهر نبوغه ، حتى يكون اسمه بيحاً على كل لسان ، وعنواناً في كل كتاب ، ويجهل من هو د منه ذكاء ، وأكبر موهبة ، وأظهر استعداداً للنبوغ ؟ .

ولماذا ؟ ولماذا ؟ وألف لماذا ؟ لو شئت لسقتها لك فما تطعت الجواب على واحد منها ، فما أنت في الوجود ، هل تسير ت الفلك على هواك ، وهـل تسوق الكون إلى غايتك . هل ت إله ؟ إنك ما كونت نفسـك ، ولا شققت بيدك سمعك ' بصرك .

قال : فهل ترى أنت أن الإنسان مسير ؟ .

قلت : ما مسير ؟ وما مخير ؟ وما هذه الفلسفة الفارغة ؟ لقد ـتغل بها البشر ، من يوم بدأوا يفكرون واختلفوا عليها ، جادلوا ، ولا يزالون يختلفون ويتجادلون ، لم يصلوا إلى شيء .

وإنما تاهوا في بيداء لا أول لها ولا آخر ، وهاموا على وجوههم في مهمه متشابه الأرجاء ، بلا أمل ولا رجاء ، فذهب هذا ينكر القدر ، وزعم أن الحياة ملك الإنسان ، وأحـداثها صنع يديه ، وراح ذاك ينكر إنسانيته ، ويجحد نفسـه ويراه مسماراً في آلة الكون ، وحجراً في جبل ، يدور مع الأرض أنى دارت . وكان هـذا متشائماً لا يرى إلا الذي وقع عن الكرسي فمات ، فاعتقد أن الدنيا دار المصائب ، وكان ذلك مغروراً ، لم يبصر إلا التي وقعت من الطبقة السادسة ولم تمت ، فحسب أنه يسلم من كل أذى .

ونحن مع القدر بشر ، لا آلـة ولا حجر ، والدنيا ليست مسرة كلها ولا مصائب ولكنها مسرة وكدر .:.

وأنا كلما فكرت ، وذكرت ما رأيت من الحوادث بعيني ازددت يقيناً بأن أكثر الناس لا يعرفون سر الإيمان بالقدر :

رأيت الترام مرة وقد انكسر مقوده ، فانحط من المنحدر المائل عند (الجسر) في دمشق ، وكانت امرأة واقفة بين خطيه بعد المنعطف ، فلما رأته مقبلا كالموت النازل ، سمرت رجلاها من فزعها بالأرض ، وجمدت ولم يجرؤ أحـد أن يدنو لإنقاذها فيموت معها ، والوقت أضيق من أن يتسع لشيء ، فأغمضوا عيونهم حتى لا يروا . . . فلما وصلت الحافلة إلى المنحنى تركت الخط وسارت قُدُماً ، فصدمت جداراً من اللبن ضعيفاً ، وصرت منه إلى قوم في دارهم فقتلتهم .

ورأيت مرة بعيني شباباً يمشون تحت فندق (إيدن بالاس) في دمشق ، فرفع أحدهم رأسه فجأة فرأى شيئاً ساقطاً فتناوله بيديه ، وإذا هو صبي رضيع وقع من شباك الفندق ، وهبطت أمه كالمجنونة . وهي امرأة من (حماه) فرأته سالماً ..

ورأى غيري حوادث مثل هـذه الحوادث . وفي كتاب (الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي) مئات من القصص عمن نجا وهو في لج الهلاك ، وفي كتاب الحياة آلاف من الأخبار عمن هلك وهو على بر النجاة .

فما سر هذه العجائب ؟ وكيف عاشت المرأة وقد فرطت وعرضت نفسها للموت بسيرها بين خطي الترام ، ومات قوم اتخذوا كل أسباب الوقاية ، فدخلوا دارهم ، وأغلقوا بابهم ، فشق الترام الحائط ودخل عليهم فدعسهم ، وكيف وقعت البنت فلم تمت ، وتموت كل يوم مئات من البنات من غير وقوع ؟ .

(١) الدعس : من العامي الفصيح .

إن هذا السر، سر الله لا يعرفه أحد، فلا تحاولوا كشف سر القدر، ولكن استفيدوا من حكمة القدر. وهذا ما سقت له حديثي.

ستقولون، وما ذا نعمل؟ هل ندع أولادنا يسقطون من الشبابيك لا نبالي لأنها إن كانت لهم حياة فسيبعث الله لهم حبالا تمسكهم، أو رجالا تتلقاهم، ولنقعد عن السعي لأنه إن كان لنا رزق فسيأتينا بلا سعي!

لا يا سادة، ما هـــذا طريق فهم القدر، ولا هذه حكمة القدر.

صحيح أن الرزق مقدر، فهذا وضع له رزقه على مكتبه، فما عليه إلا أن يقعد على كرسيه، ويمسك قلمه، ويكتب اسمه الكريم كل نصف ساعة مرة على أوراق تعرض عليه، وهو يشرب قهوته، ويدخن دخينته، فيأتيه الرزق؛ وآخر وضع رزقه في رأس الجبل عليه أن يصعد إليه، أو في بلد بعيد عليه أن يمشي إليه، أو في باطن الأرض ينزل إليه، أو في جوف البحر يغوص فيه، أو في جيوب الناس يأخذه منها، ليقبض عليه، فيتحول رزقه إلى السجن.

كل يأكل لقمة، ولكن من الناس من تجيئه اللقمة في صحفة من الفضة، ومن يأكلها مغموسة بالدم، أو مبللة بالعرق، أو ملطخة بالوحل.

لا لاتقل ما سر القدر، فما كشفه حاجة لأحد، ولكن، مادام الأمر مجهولا، فاسع أن تأكل أنت لقمتك بطبق الذهب، وجد وابذل الجهد، فإن لم تصل إلى ذلك وصلت إلى الرضى والتسليم بحكم القدر وهذى من حكم القدر.

والأجل محدود، لا يدفعه إذا حضر حذر، ولا يضر إن امتد خطر، وقد يموت الشاب الصحيح، ويعيش الشيخ العليل، ويهلك المتصم بسبعة أسوار، ويسلم الجندي الذي يقتحم النار، أعرف رجلا من أبطال الثورة السورية، رمى نفسه على الموت خمسين مرة فكان الموت يروغ من تحته ويهرب منه، ثم انتهت الثورة، ونام في فراشه، فاختصم إثنان من السكارى، فأطلق أحدهما رصاص مسدسه، فأصاب خطأ رأس صاحبنا الذي نام فما قام.

وروى ابن الجوزي أن رجــلا أغمي عليه فحسبوه مات، ونصبوه على السرير، وجاؤوا بالغسل ليغسله، فلما أحس برد المـاء، تيقظ ونهض، فارتاع الغسل وسقط ميتاً.

فلا تسأل ما السر، ولكن جاهد في سبيل الله، وناضل عن الحق، ولا تخف الموت في جهادك ونضالك لأن الأجل محدود، فقد تعيش مائة سنة ولو خضت غمرات الموت، فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لأخراك كأنك ميت غداً، فتكون قد ضمنت لنفسك الدنيا والآخرة، وهـذي حكمة من حكم القدر.

فالإيمان بالقدر حياة لأنه يفتح لك في كل ظلمة شعاع ضياء، وفي كل عسرة باب رجاء، ولولا الرجاء لمات المريض من وهمه قبل أن يميته المرض، ولقتل الجندي في الحرب من خوفه قبل أن يقتله العدو، ولولا الرجاء ما كانت الحياة.

ولو تركت الأمور لاحتمالات العقل، وقوانين المـادة، لما استطعت أن تتنفس الهواء أو تشرب الماء خشية أن تكون فيه جرثومة داء، ولا ركبت سيارة لاحتمال أن تصطدم، ولاصعدت بناء لإمكان أن يتهدم، ولما استولدت ولداً لأنه قد يموت، ولا اتخذت خليلا لأنه قد يخون، ولما اطمأننت على مال لأنه قد يسرق، ولا دار لأنها قد تحرق.

والإيمان بالقدر راحة لأنه لو كان الفشل من عملك وحدك، وكان النجاح من صنع يدك لقطعت نفســك أسفاً إن فشلت، أو سبقت.

والإيمان بالقدر عزاء، لأنك إن قدر عليك المصاب بولد، فاحمد الله ففي الناس من أصيب بولدين، وإن خسرت ألفاً ففيهم من خسر ألفين.

فهل عرفتم الآن ما حكمة القدر؟

هي أن نجد ونعمل ونسعى، ونبذل الجهد، ثم لا نحزن إن فشلنا، ولا نأس إن لم نصل إلى ما نريد وأن نكون مع القدر كمن يجتاز طريقاً فيه السيارات الزدحمات، فإن ذكر حوادثها وأخطارها وحدها لم يستطع أن يتقدم خطوة، وإن اعتقد من غروره أنه يستطيع أن يرد عنه السيارة المقبلة، ويدفع الخطر الآتي، لم يسلم، ولكن إن انتبه وسار بحذر، فهذا هو العاقل، ثم إن نجا حمد الله أن قدر عليه النجاة، وإن أصيب ذكر أنه لم يقصر، وإنما هو حكم القدر...

(دمشق) **علي الطنطاوي**

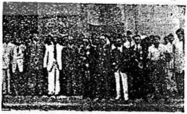
١٨ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

في مدينة لاهور :

كانت الإقامة في هذه المدينة قصيرة وكان القصد الأول من السفر إليها زيارة محمد إقبال فلم أر كثيراً من مشاهدها القديمة والحديثة.

رأيت من آثارها يوم الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى مسجد وزير خان. اجتزنا إليه سوقاً ضيقة فيها مكتبات تجارية. والمسجد كبير له صحن واسع وفي المصلى عقود مزينة بنقوش وآيات من القرآن وأحاديث وكلمات للصوفية، ومأثورات من الشعر الفارسي والنثر.



وفي العشي ذهبت إلى قلعة لاهور في صحبة أستاذ أمريكي خبير بالآثار. وهي قلعة واسعة كثيرة الأبنية ولكن الخراب غالب عليها، وكان السيك استولوا عليها حيناً إذ ملكوا في تلك الأصقاع. ولهم فيها آثار لا تدل على براعة في العمارة والتصوير.

والذي يستحق الذكر في هذه القلعة نقوش بالفسيفساء على جدار شاهق على يسار الداخل. وفيها مناظر كثيرة لحيوان ونبات، وهي من آثار جلال الدين أكبر. ويوم الخميس دعينا إلى حفل في الجامعة الأمريكية، وكنا زرناها يوم الأربعاء فتكلمت فيما بين مصر والهند من صلات، وذكرت الشاعر الكبير محمد إقبال، وتكلم السيد علي أصغر حكمت رئيس الوفد الإيراني.

وزرت هذا اليوم قبر السلطان جهانكير وهو على بعد أميال من المدينة في حديقة واسعة كقبور سلاطين المغول التي وصفت قبلا، وهو طبقة واحدة من البناء مربعة يحيط بها عقود مفضية إلى حجرات. وللبناء مآذن أربع في أركانه. وليس في أضرحة آباء جهانكير مآذن كهذه، وقد بنى مثلها ابنه شاه جهان في تاج محل، ولكنه فصلها من البناء وجعلها مسامتة لأركانه كما ذكرت آنفاً.

وظاهر أن ضريح جهانكير كان في تاريخ الآثار تمهيداً لبناء التاج.

وفي الحديقة من الطرق والأحواض والنافورات، وفي البناء من جمال الهندسة وإحكامها، ومن التناظر الذي يسيطر على أبنية التيموريين كلها ما قدمت مثلا منه حينما ذكرت أضرحة هايون وأكبر وشاه جهان (تاج محل).

ويفضي مدخل البناء إلى القاعة الوسطى وفيها قبر السلطان جهانكير رحمه الله وهو من المرمر الملون مرصع بأحجار أخرى جميلة. وكان فيها من الجواهر أكثر من مائة قطعة نزعها السيك حينما تغلبوا على لاهور. وعلى الصحيفة التي فوق القبر أسماء الله الحسنى. وعلى الجوانب كتابة فيها:

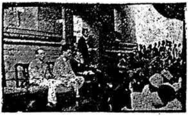
« مرقد منور أعليحضرت غفران پناه نور الدين محمد جهانكير بادشاه. » والسلطان جهانكير هو السلطان الرابع من سلاطين الدولة التيمورية.

في دار إقبال وعلى قبره :

ذهبت أنا والصديق الأستاذ علي أصغر رئيس الوفد الإيراني إلى دار إقبال وهي دار صغيرة قابلنا فيها ابنه جاويد وقد سمى إقبال باسمه منظومته « جاويد نامه » وجاويد معناه خالد. وجاويد نامه كتاب جاويد أو الكتاب الخالد ففيه تورية.

ورأينا حجرة كان الشاعر الخالد رحمه الله يكتب فيها أشعاره

ومقالاته وفيها فاضت روحه . وهى حجرة تسع على صغرها ذكريات لا يسعها الفكر .



وجلسنا ساعة نتحدث مع جاويد . وقد أهدى إلينا بعض صور والده .

وفى المشى ذهبنا لزيارة قبر إقبال وهو فى الحديقة المحيطة بالجامع الكبير الذى بناه السلطان محيى الدين اللقب أورنك زيب (زينة العرش) وهو جامع فسيح جداً يشبه جامع دهلى الكبير الذى بناه شاه جهان ، ولكن ليس فيه من الحلى والزينة والنقش والتحلية بالرخام المجزع ما فى جامع دهلى . كان شاه جهان كلفاً بتشييد الأبنية وتزيينها وقد بالغ فى التشييد والتزيين . وحسبه تاج محل . وكان ابنه أورنك زيب زاهداً لا يبالى بالزينة والأبهة .

وإلى جانب الجامع على مقربة من مدخله حجرة لم يكمل بناؤها فيها قبر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال .

زرنا القبر فى جلال الموت وروعة الذكرى ثم جلسنا فى حفل أعد لاستقبالنا هناك بجانب الحجرة التى فيها الضريح ، وأهديت إلينا منظومات إقبال الفارسية ، وتكلم الأستاذ على أصغر وغيره وألقيت الكلمة الآتية :

إقبـال

إقبال يا شاعر الإسلام ! أثرت مقاصده ، وجلوت فضائله وأضأت سراجه ، وأوضحت مناهجه ، ودعوت المسلمين إلى المجد الذى يكافىء دعوتهم ، ويلائم سننهم ، ويناسب تاريخهم .

إقبال يا شاعر الشرق ، أشدت بمآثره ، ونخرت بروحانيته ، وأخذت على الغرب المادية الصماء ، والغرور والكبرياء . ونقدت قادته فدحضت باطلهم ، وأبطلت سحرهم ، ووقفتهم للحساب العدل وأبنت مالهم وما عليهم، ولا سيما فى كتابك «پيام مشرق»

إقبال يا شاعر الحياة ! كشفت عن قواها . وبصّرت بمجراها ومنتهاها ، وعرفت مغزاها ، وأقمت منارها وصواها .

إقبال يا شاعر النفس ! أثرت خفاياها ، وأظهرت خباياها ، وأبنت ما فى « خودى »[1] من كهرباء ، فيها القوة والنار والضياء . ودعوت إلى أثارة معادنها ، واستخراج دفائنها وقلت .

بر كش إين نغمه كه سر ماية آب و كل تست
اى زخود رفته تهى شوز نواى ديكران[2]

إقبال يا شاعر (بيخودى)[3] أوضحت كيف يكون الإيثار ، وكيف ينظم الفرد فى الجماعة .

إقبال يا شاعر الحرية ! أشدت بذكرها ، وأكبرت نعمتها ، ودعوت إليها كاملة ، وأردتها شاملة ، وأبغضت العبودية فى شتى مظاهرها ، ومختلف صورها .

إقبال يا شاعر الجهاد والدأب ، والكفاح والنصب ، قلت إن الحياة جهاد مستمر ، وكفاح لا يفتر ، وإن الحياة فى الموج الهائل ، والموت فى سكون الساحل .

إقبال يا شاعر التجديد والتقدم ، قلت إن الحياة حركة متجددة تكره التكرار ، وإقدام دائم يأبى التقهقر ، ودعوت الإنسان أن يمضى قدما فى الحياة مبتكرا مقدما ، له كل حين فكرة . وفى كل ساعة نغمة ، وبينت أن التقدم والابتكار هما فرق ما بين العبيد والأحرار .

إقبال يا شاعر الجمال ! صورته فى الأرض والسماء ، واليبس والماء ، وفى الصحارى الجرداء ، والحدائق الغناء ، وفى الصبح والمساء ، والضياء والظلماء ، وصورته فى كل خلق كريم ، وفى كل نزعة سامية .

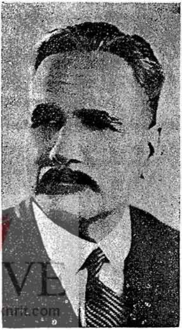
---

(١) خودى : فارسية معناها الذاتية . وقد نظم إقبال منظومة طويلة سماها أسرار خودى .

(٢) معناه : أخرج النغمة التى هى سر فطرتك يا من ضل عن نفسه أخل نفسك من نغمات الآخرين .

(٣) لإقبال منظومة اسمها . بيخودى يعنى اللاذاتية .

إقبال ياشاعر الجلال ! جلوت عظمته فى الخالق والخليقة وفى الهمم العــالية ، والعزائم الماضية ، والآمال الكبيرة . والمقاصد البعيدة .



إقبال ! أيها الشاعر الملهم . بانت لك الأسرار ، ورفعت عن الغيب الأســتار فرأيت الباطن كالظاهر . وأدركت المستقبل كالحاضر .

إقبال يا شاعر الإسلام ! ويا شاعر الشرُق ، ويا شاعر الحياة ، ويا شاعر الإنسانية ، ويا شاعر الحرية والجهاد ، والتجديد والتقدم والأقدام وياشاعر الجمال والجلال .

لقد حييتك على بعد الديار وشط المزار ، وأشدت بذكرك ، وعرفت بفضلك ، وأهديت إليك منظومة اللمعات جوابا لكتابيك ومموزخودى وأسرار بيخودى .

وأنا اليوم أحييك على القرب ، وسيان فى عظمتك القريب والبعيد . إن هذا الضياء لايعترف بالمسافات . ولا تبعد عليه الغايات إن هــذا الفكر الذى يطوى الآفاق ، ويخترق السبع الطباق ، لاتختلف عنده الأرجاء ، فالقريب والنائى لديه سواء . كان من أمانى أن أزورك فى حياتك ؛ ثم تمنيت أن أزور ضريحك بعد مماتك . وهأنذا أتشرف بأن ألقى أمامك هذه الكلمات ، وأودع ضريحك هذه الزهرات [١] .

عرب يهدى لروضك زهرا ذافخار بروضه واعــتزاز
كلمات تضمنت كل معنى من ديار الإسلام فى إيجاز
بلسان القرآن خطت ففيها نفحات التنزيل والإعجــاز
فاقبلنها على ضآلة قــــدرى
فهى فى الحق «أرمقان» الحجاز [٢]

لقد ضمنت آثارك لك الخلود فى هذه الدنيا ، وعند الله جزاؤك فى العقبى جزاء المجاهدين المخلصين .

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

عبد الوهاب عزام

(١) هذه الأبيات نظمتها فى دهلى ونقشت على لوح من الرخام وحملتها إلى لاهور فوضعت على قبر محمد إقبال .

(٢) سمى إقبال آخر منظوماته « أرمقان حجاز » أى هدية الحجاز ، ولم تنشر هذه المنظومة إلا بعد وفاته .

٢ - الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

وإذن ، فقد أراد الدكتور طه أن يقول إن الفتنة الكبرى التى أفضت إلى قتل عثمان إنما كانت « فتنة عربية نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء » فى ص ١٠٩ فمن أجل تحقيق هذه الكلمة الكبيرة ركب كل مركب فى تصوير الحياة الإسلامية الأولى بعد الفتوح بالصورة التى تنتهى به إلى هذا الغرض وحده دون سواه ، وهو الغنى والمال والسلطان ، وتزاحم الأغنياء على الغنى والمال والسلطان ، وحسد العامة العربية لأصحاب الغنى والمال والسلطان .

وأنا — كما قلت آنفاً — لن أحاول أن أنقض هذه الصورة ، ولن أعمل عملا فى الرد عليها إلا بمقدار ما ينبغى فى سياق التحقيق التاريخى لناحية من نواحى هذه الفتنة . ولكن الدكتور كشف عن هدف آخر حين جاء معرض هذه الفتنة ، فنفى خبر عبد الله ابن سبأ اليهودى ، وخبر الكتاب الذى كتب فيه الأمر بقتل رؤوس وفد مصر . وهذا الهدف هو أن ينفى عن اليهود الشركة فى دم عثمان ، والتحريض على قتل الإمام ، فركب مركباً وعراً خالف فيه أسلوب العلماء فى جرح الأخبار ، وكذّب الرواة فى شىء بغير برهان ، وصدقهم فى شىء آخر بغير برهان أيضاً ، وهو نفسه ينعى فى كتابه على « الذين يكذبون الأخبار التى نقلت إلينا ما كان بين الناس من فتنة واختلاف » فقال فى ص ١٧٢ : « فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الإسلامى كله منذ بعث النبى ، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن ، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازى وسيرة النبى والخلفاء . فما ينبغى أن نصدقهم حين يروون ما يروقنا ، وأن نكذبهم حين يروون مالا يعجبنا . وما ينبغى أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعضه الآخر ، لا لشىء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا » .

بيد أن الدكتور طه نفسه ، قائل هذا الكلام ، قد فعل ذلك فكذبهم حين روى الرواة مالا يعجبه ، وحين رووا ما يؤذيه . وفعل ذلك أيضاً فصدقهم حين رووا ما يروقه ، وحين رووا ما يرضيه . فإن الذين رووا أخبار الغنى والمال والسلطان ، هم الذين رووا أخبار عبدالله بن سبأ اليهودى وأخبار الكتاب الآمر بقتل وفد مصر ، فلم أخذ شيئاً بغير برهان ، ونفى أخاه بغير برهان ؟

والشىء البيّن هو أن الدكتور الجليل أراد كما قال فى ص ١٣٤ أن يكبر المسلمين فى صدر الإسلام « عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً ، وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ، ولكن مكراً وكيداً وخداعاً » . وهذا قصد حسن ونية جميلة ، ولكن الحق أحسن منهما وأجمل . وليس يجمل بنا ولا بالدكتور طه أن يغالط فى الحق لشىء يراه هو أو نراه نحن حسناً جميلا . والتاريخ لا يكتب بالتحكم ، وإنما يكتب بالرواية ، ثم بالاستدلال ، ثم يبذل الجهد فى سد الفجوات ، وسبيل ذلك أن تأخذ من الماضى أسباباً وعللا وحوادث ذات خطر ، فإن استقامت أن تمتد معك إلى الحاضر الذى تؤرخه ، فهى حقيقة بأن تكون شيئاً من التاريخ يوشك أن يكون حقاً كله أو بعضه .

ولست أحب أن أعلم الدكتور طه ، ولكنى سأضع بين يديه حقائق لا يدخلها الريب أبداً ، ثم أسأله أن ينظر فيها ، وأن يحكم هو بينى وبينه . وسأختصر القول اختصاراً ، فإن أكثر مادة هذا الحديث مما لا أظن بالدكتور أن يجهله أو يغفل عنه .

فلنعد إلى حديث قديم كان قبل البعثة بقليل ، وكان شديد الخطر فى تاريخ العرب ، وكان يوشك أن ينتهى إلى حديث جليل فى تاريخ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان يسكن هذه البلدة الكريمة بنو أم واحدة وأب واحد من قبائل الأزد ابن الغوث : أمهما قيلة ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة ، وهؤلاء هم الأوس والخزرج ، وكان يعيش بينهم هذا الجيل من اليهود الذى سكن جزيرة العرب ، أو سكن المدينة ، فكان من خبر ذلك شىء لم يكن مثله مثلا بين بنى هاشم وبنى أمية ، وهو الحرب المتطاولة بين هذين الحيين اللذين ولدتهما أم واحدة وأب واحد ، ويسكنان معاً بلدة واحدة . وظل هذا القتال بين الحيين متجدد النيران إلى أن كان « يوم بُعاث » وهو كما قال ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٣٥ : « آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج فى الحروب

التى كانت بينهم . . . وكانت هذه الوقعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قد تنبأ ودعا إلى الإسلام ، ثم هاجر بعدها بست سنين إلى المدينة » .

ونشأة هذه العداوة العجيبة بين الأخوين : الأوس والخزرج، واقتتالهما هذا القتال المر العنيف حقباً متطاولة ، ودخول اليهود فى الحلف ، بعضهم مع الأوس وبعضهم مع الخزرج ، لا يصيبهم من أذى القتال بين هذين الحيين الأخوين إلا القليل ، وتداعيهم باسم اليهودية إذا حزب الأمر ، فيكونون يداً واحدة على هذه العرب ، ليس له معنى إلا أن تكون هذه اليهود هى التى أرّثت الحرب والعداوة بينهما لتؤثّل فى هذه الأرض أموالا وآطاماً وحصوناً تكون لها عدة وقوة ، وتظهرها على أهل البلاد المالكين لها ، وتصرف وجه هؤلاء القوم عن الزراعة والتجارة وتثمير الأموال ، وتبقى يهود هى صاحبة الزراعة والتجارة وتثمير الأموال بالربا وما كل السحت . وهذا عمل يهود فى كل جيل ، وفى كل أمة ، وفى كل زمان إلى يوم الناس هذا .

ثم لا يلبث أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً من الخزرج عند العقبة ، وكانت يهود كما قال ابن اسحاق ، قد عزُّوهم ببلادهم ، أى غلبوهم عليها واستأثروا بها ، فلما دعاهم رسول الله إلى الإسلام قالوا له : « إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك . فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك » . فيؤلف الله قلوب الأوس والخزرج ، وهما الأخوان ، على الإسلام فيفشو فيهما فُشوّاً ظاهراً . ولا يلبث رسول الله أن يهاجر إلى المدينة ، فلا يبقى حى من الأوس والخزرج إلا دخله الإسلام وظهر فيه . فيمر شأس بن قيس من يهود بنى قينقاع — وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم — على نفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج ، فيغيظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فيقول : « قد اجتمع ملأ بنى قيلة (يعنى الأوس والخزرج) بهذه البلاد ! لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار » . فيأمر فتى شاباً من يهود أن يجلس إليهم فيذكر « يوم بعاث » وما كان قبله ، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . فيفعل هذا اليهودى ، فإذا الجماعة المؤتلفة على الإسلام تتنازع وتتفاخر ، فيتواثب رجلان من الأوس والخزرج ، فيقول أحدهما لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جَذَعة » ، ويغضب الفريقان جميعاً ويقولون : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (يعنون مكاناً بعينه) » ويتداعون : « السلاحَ السلاحَ » . ويخرجون إلى موعدهم ، فيبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فيخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى إذا جاءهم قال : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ؟ » فيعرف الأنصار، أوسهم وخزرجهم ، أنها نزعة من الشيطان وكيد من « عدوهم » ، فيبكون ويتعانقون ، ثم ينصرفون مع رسول الله سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس اليهودى . (عن ابن اسحاق وغيره) .

وأنا لست أروى لك هذا إلا لنقف على كيد يهود كيف كان؟ ولنعرف كيف كان ترفقهم إلى إثارة العداوة بين هذين الحيَّين منذ قديم ؟ ولننظر لم كانوا يحبون أن تظل هذه العداوة حية متوقدة ليأكلوا من ثمراتها مالا وغلبة وسلطاناً على العرب ؟ ولنقارن هذا كله بما لا يزال يجرى إلى أيامنا هذه على يد هذه الشرذمة الخبيثة من بنى إسرائيل !

ثم ينزل الله جلت أسماؤه فى أمر هذه الفتنة يخاطب المسلمين الذين كان رسول الله بين أظهرهم ، لم يمت بعد: «يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتابَ يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرُون وأنتم تُتلى عليكم آياتُ الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم » .

وإذن ، فنحن لا نستطيع أن نكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج عن أن يطيعوا فريقاً من اليهود حتى كادوا يردونهم بعد إيمانهم كافرين ، ولا أن ننزههم عن ذلك وهم تُتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله ، كما فعل الدكتور طه حين أراد أن ينزه أهل الصدر الأول من الإسلام فى سنة ٥٣

من الهجرة بعد أن قبض الله إليه نبيه بأكثر من عشرين سنة ، وبعد أن نشأت ناشئة من الشباب لا يدّعى أحد أنهم جميعاً كانوا أحرص على إيمانهم من أصحاب محمد وأنصاره الأولين . وهذا خبر واحد رويته ، فإن شئت أن أروى الأخبار كلها لما وسعنى كتاب أشرح فيه أمر هذه الفتن التى أرّثتها اليهود فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يسعنى أن أنص على كل آيات كتاب الله التى نزلت فى أخبار هذه الفتن . وحسبى أن أذكر من نسى أن أخبار المنافقين والآيات التى نزلت فيهم ، كانت كلها فى المدينة لا فى مكة ، وأن ذلك دليل على أن النفاق كان حيث تكون يهود ، وأن « الأعراب » لم يذكروا إلا فى السور المدنية مقروناً بالنفاق والمنافقين ، وأن قول الله تعالى فى سورة براءة (الأعرابُ أشد كُفراً ونفاقاً) نزلت فى بنى أسد وغطفان ، وهم كانوا حلفاء يهود فى الجاهلية وفى زمان الإسلام . وهذا شىء أرجو أن يتذكره الدكتور حتى نعود إليه .

ولم يكن كل هذا المكر والكيد والإيقاع عملا جاء عفو الخاطر من يهود ، ولا كان مأتاه من إساءة لحقتهم من حلفائهم الأوس والخزرج من المؤمنين غير المنافقين ، بل هو شر انطوت عليه يهود لا يزايلهم ولو أحسن المسلمون إليهم ، وهو حقد وضغينة وكفر وعدوان على أهل هذا الدين ، وهم كما وصفهم الله أشد الناس عداوة للذين آمنوا بمحمد صلوات الله عليه . ودليل ذلك أن رجالا كثيراً من الأوس والخزرج كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية ، فكانوا يصافونهم المودة بهذه الأسباب ، ويستنصحونهم فى أمورهم دون أن يشكوا فيهم أو يتوجسوا منهم خيفة . فأنزل الله فى محكم كتابه ينهاهم عن فعل ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور» . وهؤلاء « الذين قالوا آمنا » هم الذين نزلت فيهم الآية السابقة قبل هذه فى سورة آل عمران : « وقالت طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » .

وهذه الآية وسبب نزولها يدل دلالة صريحة على أن أهل الإسلام الأول ، كانوا لا يزالون يعدون الحلف بينهم وبين يهود حلفاً صادقاً لا غش فيه ، وأن يهود كانت تظهر المودة وتخفى أشد العداوة وأشد الغيظ على هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم كانوا يتخافتون بهذه العداوة ، وأنهم كانوا يخدعون هؤلاء المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ، حتى إذا صدّقهم بعض المؤمنين عادوا فأظهروا الكفر ليفتنوهم ويخدعوهم عن دينهم . فإذا صح هذا ، وهو صحيح ، ورسول الله بين أظهرهم ، فهو أحق بالصحة فى سنة ٣٥ من الهجرة ، لا نكبر أهل الصدر الأول من الإسلام عن أن يقعوا فى مثله وفى أشد منه .

ويستطيع الدكتور طه ، ويستطيع كل من أطاق القراءة ، أن يقرأ كتب السير والمغازى منذ هاجر رسول الله من مكة إلى المدينة ، إلى يوم دعاه ربه إلى الرفيق الأعلى ، فسيجد أنه لا تكاد تنتهى وقعة بدر الكبرى بالنصر الأعظم لجند الله حتى يسلم رأس النفاق عبد الله بن أبى ابن سلول وجماعته من المنافقين ، وكانوا أعوان يهود ، ومن يومئذ ينفجر النفاق ويستشرى خطره ، حتى تنزل فيه الآيات الكثيرة ، وحتى يطلع الله رسوله على خبايا نفوسهم وعلى أعيانهم . ومن يومئذ يجاهر بعض اليهود بنقض العهد الذى كتبه رسول الله بينه وبينهم عند مقدمه المدينة ، فيكون مقتل اليهودى أبى عَفَك ، ثم تكون غزوة يهود بنى قينقاع ، ثم استعانة أبى سفيان بن حرب بيهود بنى النضير ينقلون إليه أخبار نبى الله . ثم يكون ما كان فى يوم أحد من خروج عبد الله ابن أبى ابن سلول المنافق مع رسول الله حتى إذا بلغ رسول الله أُحُداً انخزل ابن أبى فى كتيبة أشياعه وهو يقول : « أيعصينى ويطيع الولدان ؟ » ، ثم يهزم المسلمون ، فإذا عادوا إلى المدينة شمت بهم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه المنافقون ، وأظهرت اليهود القول السيء يقولون : ما محمد إلا طالب ملك ! ما أصيب هكذا نبى قط ! أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه : ثم لا تمضى خمسة أشهر حتى يحاول يهود بنى النضير قتل رسول الله غدراً حين جاء منازلهم ، فأتمروا أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت

إســـــعاف النشاشيبي

للأستاذ أحمد لطفي الســــيد

اختار الله لجواره في الأسبوع الماضي الكاتب الشهير إسعاف النشاشيبي زعيم الأسرة المعروفة في فلسطين منذ القرن التاسع الهجري إلى اليوم .

ارتقى — رحمه الله — إلى أعظم المناصب الحكومية في عهد الحكومتين العثمانية والحاضرة — بجده واجتهاده ، فكان المفتش الأول للغة العربية في فلسطين — نظم المدارس وأصلح التعليم في هـذا القطر الشقيق — ونشر علم العربية عالياً تشهد بذلك مؤلفاته ومقالاته الذائعة الصيت في العالم العربي — وقـد كان السيد إسعاف بك شديد الحنين لوطن أسرته الأول مصر — فكان يزورها كلما سنحت الفرصة — وهو فوق ذلك يؤلف فيها الكتب — ويحيي علماءها وشعراءها وزعماءها — ويتعرف إلى أحيائها وأمواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا — وحادثة وقوفه بين يدي المغفور له سعد باشا معروفة مشهورة .

ونحن بهذه المناسبة نكشف لقراء الرسالة الغراء عن أصل هذه الأسرة المصرية الكريمة حتى تقر عين الصديق الراحل بكلمة وفاء صغيرة من أحد أبنائه المعترفين بفضله ... يتصل أول هذه الأسرة بالشيخ المعتقد أحمد بن رجب النشاشيبي — سمي بذلك لأن أجداده كانوا يحترفون صناعة النشاب — وكان الشيخ أحمد المذكور من رجال السلطان الملك الظاهر جقمق — كان خازنداره الخاص في أيام إمارته الأولى في فجر القرن التاسع الهجري — وتوفي الشيخ أحمد المذكور على عهد المؤرخ الشهير ابن تغري بردي صاحب كتاب النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة وقد وصفه بقوله : (الشيخ المعتقد أحمد بن النشاشيبي كان خيراً يحب العلماء الصالحين) وترك ابنه الأمير ناصر الدين محمد وهو غرة هذا البيت وواسطة هذا العقد وطراز هذه الحلية

الذي هو تحتـه ، فجاءه الوحي بمـا هموا به . ثم يخرج أبو رافع سـلام بن أبي الحقيق اليهودي بعد أشهر إلى « غطفان » ومن حولهم من مشركي العرب ، يغريهم بقتال رسول الله صـلى الله عليه وسلم . ثم ...

ولا تزال تمضي من حدث إلى حدث ، ومن غدر إلى غدر ، ومن نفاق إلى نفاق ، واليهود رأس ذلك كله ، والعاملون عليه ، والموغلون فيه ، إلى أن تنتهي إلى خبر اليهودية التي وضعت السم في الشاة ودعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأكل من شأنها ثم نبيء أنها مسمومة فلفظها .

فما معنى هذا كله ؟ معناه أن اليهود لم يفتر لهم لسان ولا يد ولا غش ولا غدر ولا خديعة ولا ضغن منذ ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه الشحناء لم تكن عن إساءة لحقتهم من الذين آمنوا بل كانت عصبية يهودية محضاً ، وخليقة مركبة في طباع هـذا الجنس من البشر ، وأن النفاق كان طرفاً من دسائسهم ومتنفساً لأضغانهم على أهل هذا الدين ، وأن الله قد وصفهم وصف الحق إذ يقول تباركت أسماؤه: « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » .

وهذه الصفة التي وصفهم الله تعالى بها ، لم تنقطع ولن تنقطع ما بقي على الأرض مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وسترى في الكلمة الآتية كيف استطاع اليهود أن يفسدوا على المسلمين أموراً كثيرة ، وأن يثيروا فتنة كادت تذهب بالإسلام كله لولا أن الله قد وعد عباده أن يظهر هـذا الدين كله ولو كره الكافرون .

محمود محمد شاكر

ولد في مصر سنة ٨٢١ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم في صغره وجوده على أشهر علماء عصره ثم اتصل كأبيه بخدمة الملك الظاهر جقمق . وفي سنة ٨٧٥ اختاره الملك الأشرف قايتباى لوظيفة ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) فدام في هذه الوظيفة ما يقرب من الثمانية عشرة عاماً ، كانت كلها خيراً وبركة على القدس والخليل وأهلهما . وقد فصل العليمي في كتابه تاريخ القدس وأخليل حكم هـذا الأمير لتلك البلاد فقال كانت أيامه كلها مواسم … وناهيك بهذه الشهادة من شاهد عيان .

وحتى يكون القارىء على بينة من سر حنين المرحوم إسعاف بك لوطن أسرته الأول مصر نفصل له قليلا من أخبار الأمير ناصر الدين في القدس وكيف استقرت فيها هذه الأسرة المصرية الكريمة منذ خمسة قرون إلى الآن … قال العليمي في حوادث ٨٧٣ هـ كثرت الفتن في القدس بين نائب السلطنة (حاكم القدس) دمرداش وناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) برد بك التاجي واشتد الخلاف بينهما وكثر القيل والقال فأدى الحال إلى انفصال الأخير عن نظر الحرمين الشريفين وعين السلطان قايتباى الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أحد الخازندارية بالخدمة الشريفة (أحد رجال الديوان العالى كما هو متعارف اليوم) للكشف عن أوقاف الحرمين الشريفين بالقدس والخليل وتحرير أمرهما وإصلاح ما فسـد من نظارها لخضر إلى القدس وأصلح ما فسـد من أيام برد بك التاجي وعمر المسجد الأقصى وصرف المعاليم (المرتبات) واستبشر النـاس بالخير وعد ذلك من بركة الأمير ناصر الدين ثم توجه إلى مصر في آخر سنة ٨٧٤ هـ وفي سنة ٨٧٥ استقر الأمير المذكور في نظر الحرمين الشريفين ودخل إلى القدس في يوم مشهود وشرع في عمارة الأوقاف بهمة وشهامة وحصل للاراضي المقدسة الجمال بوجوده وكان يكثر من مجالسة العلماء والفقهاء ويحسن إليهم بالبشر والقبول . وفي سنة ٨٧٧ هـ شرع في عمارة الصخرة الشريفة وانتهى العمل فيها في سنة ٨٧٨ هـ وفي هذه السنة خلع عليه السلطان قايتباى وعلى القاضي شهاب الدين بن عبيسه ووهبهما ألف دينار وحضر الاثنان إلى القدس وعليهما خلعة السلطان فكان يوماً مشهوداً …

وفي سنة ٨٩٢ هـ اشتد البلاء بالقدس والخليل وساءت سيرة نائب السلطان خضر بك وكان يناصره قاضي المـالكية شرف الدين بن يحيى المغربي فـكثرت الشكاوى في حقهما فعزل الأمير ناصر الدين القاضي بناء على أمر جاءه من القاهرة فلما كانت سنة ٨٩٣ هـ توجه خضر بك نائب السلطنة والأمير ناصر الدين ناظر الحرمين الشريفين إلى القاهرة ومثل كلاهما بين يدى السلطان فعزل السـلطان خضر بك وأمر بعزله والتمس الأمير ناصر الدين من السلطان أعفاءه . من الخدمة فتوقف السلطان ولـكن الأمير ناصر الدين ألح في طلب الاستعفاء فأعفاه السلطان من الخدمة كارها لنزاهته وعفته واستقامته .

قال الشيخ العليمي ودخلت سنة ٨٩٢ والوظيفتان شاغرتان النيابة والنظر قال ثم عين السلطان دقاق في نظر الحرمين فـكان بعكس سلفه ظالما فاجراً .

قال السخاوى في كتابه الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع كان الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي من أهل الخير والصلاح حفظ القرآن الـكريم وهو صغير وجوده على ابن كوزلبنا والزين طاهر وآخرين وبعد أن ذكر خدماته في القدس والخليل قال وصرفه السلطان قايتباى بدقاق . والعليمي يؤكد أن النشاشيبي هو الذي استعفى من تلقاء نفسه وأن السلطان ألح عليه في البقاء في نظير الحرمين فرفض ألخ وصاحب الدار أدرى .

ولم ينس الأمير ناصر الدين تلك البلاد التي صرف فيها زهرة العمر فرجع إلى القدس وتأثل الدور والقصور والحقول والبساتين وانتهت الأسرة كلها بالانتقال من مصر إليها منذ القرن التاسع إلى الآن …

***

وبعد فهذه لمة صغيرة عن أصل هذه الأمير الشهير والـكاتب النحرير والحجة الثبت واللغوى الضليع عظيم القدس والخليل البلد الملوم وموطن القبر الموهوم الذي من أجله تقاتل الأخوان كأنهما وحشان قرونا وأجيالا حتى اصطبغت الأراضي المقدسة بالدماء فشربتها شرب الهيم ولم يغن فيها دعاء ابراهيم وهي اليوم كما كانت بالأمس وا أسفا والفرق في الإسم فقط فتلك حروب صليبية وهذه حروب صهيونية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أحمد لطفي السيد

طرائف من العصر المملوكي :

ابن حجر الأديب

للأستاذ محمود رزق سليم

أعنى بابن حجر هنا ، شهاب الدين أبا الفضل أحمد العسقلاني المصري . المنسوب إلى عسقلان من بلاد الشام ، والمولود بمصر — الفسطاط — والذي عاش بين سنتي ٧٧٣ هـ ، ٨٥٢ هـ . فإن هناك ابن حجر آخر ، وهو الهيثمي من علماء العصر العثماني .

أما ابن حجر العسقلاني فهو أشهر من أن يشار إليه ، وأجل من أن تكتب عنه عجالة ، وأحرى أن تؤلف فيه رسالة مسهبة فياضة تنم عن علمه وتحدث عن فضله . فإن آفاق علمه واسعة ، وفجاج فضله رحيبة . وهو في الجبهة الأولى بين علماء العصر المملوكي . وفي الصف الأول بين نابغيه ، وممن نبه المصر بنباهته ، وسما بسمو مكانته .

أخذ العلم عن أئمة زمانه كالزين العراقي ، والسراج البلقيني ، وابن الملقن والإبناسي ، والعز بن جماعة ، والمجد الفيروزابادي ، والمهاري والبدر البشتكي — وطوف في آفاق مصر ، وربوع الشام ، وجال في نواحي حلب ، وحج إلى بلاد الحجاز ، وزار اليمن ، فأفاده التجوال علماً غزيراً وأدباً جماً وخبرة صائبة ومعرفة سديدة .

وفره في العلم حتى تصدر للافتاء وقعد للتدريس وعكف على التأليف . ووكلت إليه مناصب عدة من مناصب الدولة من بينها قضاء الشافعية ، فنبه فيها شأنه بكفايته ومهابته . فعظم في عيون أهل جيله وعلى رأسهم السلطان الملك المؤيد شيخ صاحب جامع المؤيد المشهور ، الذي كان ابن حجر في مقدمة هيئة التدريس فيه.

لم يقتصر بروز ابن حجر على مادة علمية واحدة بل تجاوزها إلى غيرها . فقد أغرم بالحديث النبوي الشريف فتلقاه عن حفاظه . وظل يجمعه ويحفظه حتى غدا أحفظ أهل زمانه . وعنى بالتأليف فيه وفي تاريخ رجاله ، فوضع كتبا عدة منها كتابه المشهور « فتح الباري » الذي شرح فيه صحيح البخاري ، وقدمه بمقدمة جليلة سماها «هدى الساري» . قال بعضهم « لو وقف عليه ابن خلدون القائل بأن شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة ، لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء » . وقال عنه السخاوي في الضوء « إن هذا الكتاب لم يسبق نظيره وكان أمراً عجباً » . والحق أنه كان فتحاً مبيناً في تاريخ شرح الحديث — ولابن حجر عشرات الرسائل في الحديث ورجاله ومصطلحه .

ودرس ابن حجر فقه الشافعي حتى نبغ فيه وأصبح رأساً بين فقهائه ، واختير لذلك قاضياً لقضاة الشافعية وظل بين تعيين وعزل قرابة إحدى وعشرين سنة ، بعفة وجدارة .

وأقبل على التاريخ وعلى التأليف فيه حتى كون ببعض مؤلفاته حلقة هامة من حلقات تلك السلسلة الفريدة من كتب التاريخ التي صنفها مؤرخو مصر في تاريخها وتاريخ رجالها . ومنها « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » .

وتخرج به طائفة من الفضلاء ومنهم تلميذه الأثير شمس الدين السخاوي صاحب « الضوء اللامع » ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري . وهكذا جمع ابن حجر الفضل من أقطاره ، والمكارم من آفاقها . وإذا ذهبنا نعد مؤلفاته وأعماله وننوه بخطرها وجلال قدرها ضاق المقام وأعيا الكلام .

وما بنا من رغبة هنا إلا أن نعرض لميزة من ميزاته قد يكون انتابها شيء من الخفاء ، فاحتجب خبرها وتمنع ذكرها ، وتلك هي أدبه .

لقد كان ابن حجر أديباً له نفسية الأديب وحساسيته ، وله عاطفته وشعوره ، وله تأثره وإنتاجه ... ولكنه انساق بدافع من روح عصره إلى طلب الحديث ودراسة الفقه وعلوم الدين ، فبرز في ذلك كله بروزا تطامن أمامه بروزه في فنون الأدب .

لقد كان بالعصر تجهم للأدب وانصراف عن الأدباء . ولولا ثقة انبثت في نفوس الأدباء بأدبهم ، وولوع شاع فيهم بفنهم ، لتجهموا للأدب في المتجهمين ، ولانصرفوا عنه مع المنصرفين . وقد كان ابن حجر من هؤلاء الأدباء ... ولكن كانت به إلى جوار ذلك نزعة طاغية إلى الجادة ، ورغبة جامحة إلى معالي الأمور؛ وشعر حينذاك أن الأدب لا يبل أوام أديب ولا يؤدم لقمته ، فضلا عن أن يسدل عليه أردية المجد ضافية ، ويرخى فوقه أثواب الجاه سابغة ، فإذا ركن إلى الأدب وحده اعتاص عليه السبيل

إلى المجد ، وانسد أمامه الطريق إلى الجاه . لذلك عدل ابن حجر عن الأدب إلى غيره، وطلب المجد من باب غير بابه. فحفظ الحديث ودرس الفقه ...

شعر ابن حجر وهو فى حداثة سنه بميله الفطرى إلى الأدب، فعكف على دراسته ومعالجته ، ونظم الشعر حتى بلغ فى نظمه مبلغاً محموداً . ثم تفتحت فيه زهرات الآمال ، وقوى حب المجد فى نفسه ، ورأى للبارزين من علماء الدين وفقهاء المذاهب فى عصره منازل دونها منازل الأدباء والشعراء ، فأشرأبت عنقه إلى منزلة من منازلهم ، ورجا أن يكون فى آتى أيامه واحداً منهم ، لذلك سلك طريقهم ونهج نهجهم ، وعدل عن الأدب فحفظ الحديث ودرس الفقه ... ورأى أن يستغل فيهما ذكاءه ومواهبه. فكان له ما أراد .

ولكن هل أزال هذا النهج الجديد نزعة الأدب من نفسه ، كلا ! بل ظلت كامنة فيها كمون العطر فى زهرته ، متربصة تربص اللحن فى وتره . فإذا مرت عليها نسمة وانية رفيقة استجابت لها فعطرت الأرجاء بأرجها ؛ أو هزتها يد حانية رقيقة لبتها فأطربت النفوس بنغمها . وهيهات هيهات أن تصدأ نفس الأديب الموهوب .

وبعد ، فأين نجد أدبه ومظاهره ؟ نجد ذلك فى كتابته وخطبه وفى شعره .

وحقاً إذا أنت قرأت فى مؤلفاته رأيت أسلوبه الكتابى علمياً فيه من مصطلحات العلم لفظها وأسلوبها كما أنه يغلب عليه فى كتب التاريخ سرد حديثه وقص تراجمه فى غير تأنق. غير أنك يصادفك كثيراً فى تضاعيف هذه التراجم وغيرها سطور من الأدب الخالص يعود إليه فيها طبع الأديب فيتأنق ، ويتخير اللفظ ويحسن فى الأسلوب وتبدو عليه سيما عصره من مراعاة البديع ، ولكن فى غير إغراق ولا استكراه .

وقد كان ابن حجر خطيباً دينياً يعظ الناس فوق المنابر وغيرها، وولى خطابة جوامع عدة منها الجامع الأزهر وجامع عمرو.

ولعل شعره أوضح مظاهر أدبه . وقد كان يظن أن شعره هذا سيتأثر بالاتجاه العلمى البحت الذى اتجهه ، فيسمج ويتخاذل وينوء بالمصطلحات . ولكن الحق أنه بقى له شىء كثير من رونقه وصفائه ، كما بقى لابن حجر نفسه شىء كثير من طرب الأديب وأنسه وإيناسه ومرحه ودعابته . وقل أن مرت به مناسبة من مناسبات الأدباء لم يدل عندها بدلوه فى الدلاء . فمدح وهنأ وتغزل وشكا ورثى وعاتب وتشوق وحن، ووصف ، ونظم فى المديح النبوى والألغز وحاجى وتفكه وراسل وساجل ودبج القصائد الطوال ، وقطع المقطعات الصغار . وأولع فى رفق وكياسة ولطف وسياسة بما أولع به أدباء عصره ممن شغفوا بتعاليم القاضى الفاضل أو تخرجوا فى مدرسة ابن نباتة ، فورى وضمن واقتبس وطابق وجانس . إلى غير ذلك .

وفضلا عن أن شعر ابن حجر قد انتثر فى بعض مؤلفات ابن حجة الحموى كخزانة الأدب ، وترى منه طرفاً فى حسن المحاضرة للسيوطى، فإن له ديوان شعر مخطوطا ، لما يطبع — كما نعتقد —

قال جميل العظم إن ديوان شعر ابن حجر اسمه « الدرر » .

وقيل فى فهرس دار الكتب إن صاحب كشف الظنون قال « إن لابن حجر ديوان شعر كبيراً انتخب منه قطعة ورتبها على سبعة أبواب وسماها « السبعة السيارة النيرات » وهى ديوانه الصغير » ثم قيل فى الفهرس « لعل هذا الأخير هو الذى بأيدينا » . ويؤيد كلام الفهرس خطبة هذا الديوان التى كتبها ابن حجر فى مقدمته فهى ناطقة بأن ما فى هذا الديوان جزء من شعره لا شعره كله . شعر الديوان إذن ، جملة مختارة من الديوان الكبير . وقد جمع فيه ابن حجر بعض شعره البكر إلى بعض من شعره المتأخر. ومن محاسنه ذكر تاريخ بعض القصائد بالسنة واليوم ، وذكر أسماء ممن وجهت إليهم من ملوك أو إخوان ، فمنهم الملك الأشرف إسماعيل صاحب اليمن ، وعبد العزيز صاحب تونس ، والعباس ابن محمد الخليفة العباسى بمصر ، مدحه ابن حجر بقصيدة بارعة لما ولى السلطنة المصرية عام ٨١٥ هـ ، قال فى مطلعها :

الملك أصبح ثابت الآساس بالمستعين العادل العباسى
رجعت مكانة آل عم المصطفى لمحلها من بعد طول تناسى

وقد قسم ابن حجر ديوانه المذكور إلى سبعة أبواب. فافتتحه بالنبويات ثم الملوكيات — أى المدائح — ثم الإخوانيات ثم الغزليات ثم الأغراض المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطيع .

أما نبوياته فلم يأت فيها بجديد وهى على نمط مما جاء فى بردة البوصيرى من ذكر ما عرف من سيرة النبى عليه السلام كالمولد والمعجزات والإسراء والمعراج إلى غير ذلك . ومنها قوله عن النبى عليه السلام :

هو رحمة للناس مهداة فيا ويح المعاند إنه لا يرحم

نال الأمان المؤمنون به إذا شبت وقوداً بالطغاة جهنم
الله أيده فليس من الهوى في أمره أو نهيـــه يتكلم
فليحذر المرء المخالف أمره من فتنة أو من عذاب يؤلم

أما مدائحه الأخرى وهي ما سماه «الملوكيات» فأجل أبياتها ما بدا في صدرها من غزل . وكذلك كان دأب ابن حجر في أغلب قصائده حتى النبويات يبدؤها بأبيات غزلية على سنة القدامى . ولـكنها رقيقة لطيفة تنم عن عاطفة جميلة وشعور صادق . وبمناسبة الغزل نذكر أن بعض علماء العصر وفقهائه ممن نظموا الشعر ، تغزلوا ووصفوا المؤنث والمذكر ، وصرح بعضهم بأن هذا كان منهم على سبيل تمرين القريحة . وما هو إلا حب التقليد أو حب الظهور دفعاهم إلى شعر الغزل . وما كانت بهم من حاجة إلى الاعتذار أو التنصل ، فكثير من شعرهم بدا متكلفاً ممجوجا مستخذي العاطفة ضيق الحيلة ففضح نفسه بنفسه . ولـكنا نشعر أن غزل ابن حجر ينم عن عاطفة جميلة وشعور صادق — كما ذكرنا — ولا نستطيع أن نقدم على هذه الدعوى دليلا غير ما يفيض به غزله دون سائر شعره من رقة ولطف وسلاسة . قال في مطلع مدحة نبوية :

إن كنت تنكر حبا زادني كلفا
حسبي الذي قد جرى من مدمعي وكفى
وإن شككت فســـائل عاذلي شجني
هل بت أشكو الهوى والبين والأسفا
أحبابنا ويد الأسقام قد عبثت بالجسم هل لي منكم بالوصال شفا
كدرت عيشاً تقضى في بعادكم وراق مني نسيب فيكم وصفا

ومنها :

وكنت أكتم حبي في الهوى زمنا
حتى تكلم دمع العين فانكشفا
سألت قلبي عن صـــبري فأخبرني
بأنه حين سرتم عني انصرفا
وقلت للطرف أين النوم بعدهم فقال : نوى وبحر الدمع قد نزفا

وهذه الأبيات أليق بباب الشكوى منها بباب الغزل ، غير أن الشكوى هنا هي من صميم الغزل بل هي لبه وجوهره . وهي أدل على صدق العاطفة من الوصف الصريح . ومع هذا فاسمع قول ابن حجر من غزلية رقيقة :

طيف لمن يهوى ألمـــا يطوى ذيول الليل لمـــا
أهـــلا به لو أن طر في للمنـــام يذوق طعما
حتـــام يا ريق الحبيـــب أراك مورودا وأظما
وإلام يا قلب الـكئيـــب بأسهم الألحـــاظ ترمى
هلا صحوت من الغرا م فلم أراجع فيه عزما
وصبرت عمن لا يطا وع ما تشا نهبا وغرما . الخ

وبعد فلعل القارىء معي يلحظ في هذا الشعر ما لحظته فيه من رقة ولطف . ويضيق المقام دون الحديث كما ينبغي وكما نشتهي عن شعر ابن حجر . وليس به ما يشوب إلا هنات قليلة شاعت في فرسان عصره كخطأ لغوي أو استعمال عامي .

وإذ آن لنا أن نختم هذه الوجزة ، نذكر أن ابن حجر كان يتخذ حكما في المباريات الأدبية ، مما يدل على علو كعبه في ذوق الأدب وتمييزه . حكوا أن ابن نباتة المصري مدح الـكمال ابن الزملـكاني القاضي بتائية بارعة صدرها بغزل مليح ، ومنه في مطلعها :

قضى وما قضيت منكم لبانات متيم عبثت فيـه الصبابات

فعارضها كثير من الشعراء ، ومنهم برهان الدين القيراطي ، قال في مطلع قصيدته :

ما لابتداء صباباتي نهايات يا غاية ما لعشق فيه غايات

ثم جاء ابن حجة الحموي من بعدهما فعارضهما بقصيدة أخرى قال في مطلعها :

لمجبه ولذيل الهجر شمرات وللقلوب من الأجفان كسرات

ثم احتكم ابن حجة في التائيات الثلاث إلى ابن حجر ، فحكم له ابن حجر وفضله عليهما وسجل ذلك في مكاتبة أدبية طريفة قال في صدرها : « لله الأمر من قبل ومن بعد . الحكم بين النظراء إنما يحسن ممن يماثلهم فيما به يرتفع الحكم . وفي إقدام من لم يرتق إلى تلك الطبقة نوع من الظلم . ولا يرتاب لبيب في أن كلا من الثلاثة رأس هذا الفن في زمانه ، وأنه لا يوازنه أحد من أقرانه .

وثلاثة كثلاثة الراح استوى لك لونها ومذاقها وشميمها » . الخ

وبعد فهذه أثارة من أدب ابن حجر نوهنا بها أملا في أن تثير الرغبة في دراسته بتفصيل وروية .

(حلوان) **محمود رزق سليم**
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

للحقيقة والتاريخ :

حول الفتنة الكبرى

للدكتور شوقي ضيف

قرأت بعناية مقال الأستاذ الأديب محمود محمد شاكر بمجلة الرسالة في عددها ٧٦١ عن كتاب « الفتنة الكبرى أو عثمان » لأستاذنا الدكتور طه حسين . وقد رأيت الأستاذ صاحب المقال يقول في أوائل كلامه : رميت بنفسي وعقلي في هذا الكتاب … فما كدت أفرغ حتى رأيت الكتاب كله يختلج بين يدي » . وذهب الأستاذ يوضح أسباب ذلك فإذا هو يعود بها إلى خبرين أو روايتين نفاهما مؤلف الفتنة الكبرى .

وأقام الأستاذ شاكر الدنيا وأقعدها لأن المؤلف نفى هاتين الروايتين وما كان ينبغي له . وإن كتاباً يخرج عن عثمان وتنفى فيه هاتان الروايتان لخليق بأن يختلج ، على الأقل ، بين يدي الأستاذ شاكر !

أما الرواية الأولى ، فهي أن مؤلف الفتنة الكبرى ينفي ما يروى من عمل لابن سبأ في فتنة عثمان . وأما الرواية الثانية ، فهي أن المؤلف ينفي ما يروى من كتاب المصريين الثائرين الذي خرجوا به عن عثمان إلى واليه على مصر ، فلما فضوه في بعض الطريق وجدوه يأمره أن يقتلهم ، فرجعوا إلى عثمان وحاصروه حتى كان مقتله .

وإنكار الرواية الأولى هو الذي أثار ثائرة الأستاذ شاكر ؛ فقد رأى مؤلف الفتنة الكبرى أن هذه الرواية لم تأت في الكتب التاريخية القديمة كلها ، وأن المؤرخين المتأخرين توسعوا فيها ، فشك فيما صارت إليه ، بل شك أيضاً في أصلها ، لأن ابن سبأ أسلم في عصر عثمان ومثله — وهو ليس من السابقين الأولين ولا من قريش ولا من الأنصار — لا يؤثر تأثيراً عميقاً في هذه الفتنة الكبرى التي انتهت بقتل الخليفة . وقد كان الإسلام ، لا يزال في دوره الأول ، وما كان المسلمون الأولون ليثوروا على خليفة وراء يهودي أسلم حديثاً . وإن وصفهم بذلك ليحط من شأنهم ؛ إذ يكونون أطفالا أغراراً يتبعون هذا الناعق الذي يكيد للاسلام . والحق أن المسلمين ثاروا على عثمان لأسباب داخلية يفصلها مؤلف الفتنة الكبرى .

ومن المسلم به أن من حق المؤرخ أن ينفي بعض الروايات وأن يثبت الأخرى ؛ معتمداً في ذلك على القرائن والأدلة المختلفة وقد رأى صاحب كتاب الفتنة الكبرى قصة ابن سبأ هذه أو ابن السوداء تروى في بعض الكتب التاريخية الموثقة ولا تروى في أخرى ، بل رأى أن الكتب التي كانت أكثر اهتماماً من غيرها بفتنة عثمان لا تروى هذه القصة من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري فازداد شكه في القصة وازداد اتهامه وخاصة أنه رآها تكبر وتتضخم مع مر الزمن فقال : « إن هذه القصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لما كان من الاختلاف على عثمان » .

وعلق على ذلك الأستاذ شاكر بأن الطبري كان أحد رواة هذه القصة ، وقد ذكر مؤلف الفتنة الكبرى نفسه ذلك . وإذن فكلمة الرواة المتأخرين السابقة فيها إبهام شديد متعمد فيما يظهر . فإن الطبري ليس من الرواة المتأخرين ، وقد روى القصة عن سيف بن عمر بشهادة المؤلف نفسه . وأظن أنه كان ينبغي للأستاذ شاكر أن يلاحظ أن المؤلف لا ينفي عن بعض الرواة السابقين ذكر القصة ، بل هو يثبت ذلك ويثبت بجانبه أن الرواة المتأخرين بالغوا في القصة أو على حد تعبيره أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها .

وهذا كلام مستقيم ، فقد أخذت القصة تطول وتتسع في البيئات الشيعية وعند خصومهم كلما تقدم الزمن حتى أصبحت أشبه ما يكون بالأسطورة . وكان هذا سبباً في أن يتهم مؤلف الفتنة الكبرى القصة في بعض الوجوه . وأيضاً فقد لاحظ أن المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان لم تذكرها من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري .

وليس معنى ذلك أن المؤلف يقصد بذلك إلى التقليل من شأن الطبري كمصدر مهم في التاريخ الإسلامي وإنما معناه أنه يقارن ويقابل فيجد ابن سعد لا يذكر القصة كما يجد البلاذري ، وهو أهم المصادر — في رأيه — لهذه القصة وأكثرها تفصيلا ، لا يرويها ، إنما يرويها الطبري وحده بين المصادر القديمة ، وهو يرويها عن سيف بن عمر .

وهذه المقارنة بين الطبري وغيره في هذه القصة جعلت مؤلف

الفتنة الكبرى يتهمها ، فقد أثار ذلك الشك فى نفسه ، وأظن من حق كل مؤرخ أن يشك ويتهم بعض الروايات القديمة وخاصة إذا لم تتآزر الكتب التاريخية المختلفة فى روايتها .

وقد ذهب الأستاذ شاكر يبرهن على صحة القصة بأن طبقات ابن سعد طبعت من نسخ ناقصة وربما كانت القصة موجودة فى الأصل وسقطت . واتسع بهذا البرهان فى أنساب الأشراف للبلاذرى فقال إن ناشره يهودى من طغاة الصهيونية وربما حذف الرواية الخاصة بابن سبأ . ولست أدرى ماذا يضير اليهودى الناشر من رواية هذا الخبر !. وقد رجع الأستاذ شاكر يقول ربما ذكر البلاذرى هذا الخبر فى ترجمة مفقودة .

وواضح أن هذين البرهانين أو قل هذا البرهان لا يثبت قصة ابن سبأ ، فإن ما جاء به الأستاذ شاكر إنما هو فرض ولا يقين فى يده .

وقد أخذ بعد ذلك يناقش المؤلف فى الخبر أو فى القصة على أساس أن من لم يرو خبراً ما ليس حجة على من روى هذا الخبر وخاصة إذا كان الراوى مثل الطبرى علماً وفهماً وهو الذى روى عنه أنه قال لأصحابه « أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه ، فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال لهم : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال إنا لله ! ماتت الهمم » .

وأحسب الأستاذ شاكراً نقل هذا الخبر عن كتاب معجم الأدباء لياقوت ، ولو أنه استمر بعد هذا النص الذى نقله عن معجم الأدباء يقرأ فى ترجمة الطبرى لرأى ياقوت يقول عنه : « إنه لم يدخل فى كتابه (التفسير) شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبى ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدى ، لأنهم عنده أظناء » ثم يقول ياقوت عقب ذلك مباشرة : « وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبى وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدى وغيرهم فيما يفتقر إليه » .

وإذن فالطبرى لم يكن يحقق فى روايات التاريخ كما كان يحقق فى روايات التفسير ، ومع ذلك يقول الأستاذ شاكر : «من قرأ كتاب الطبرى فى تاريخه ... علم أن هذا حق ، وأن الرجل كان فارغاً للعلم لا يلفته عنه شىء » . وأنا لا أنفى أن الطبرى كان فارغاً للعلم ، ولكن أنفى أن تاريخه حق خالص لأنه قد روى عن الكلبى وابنه هشام والواقدى وغيرهم كما يقول ياقوت :

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تقوله دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة تاريخ ص ٤٩٣ من المجلد الرابع فى الترجمة العربية من أن « مواطن الضعف عند الطبرى فى تاريخه هى ما يتوقع من محدث مثله — مثال ذلك إيثاره لمصنف سيف المنحول على التاريخ . » ثم عرفنا أن سيفاً هذا هو سيف بن عمر الذى روى عنه الطبرى قصة عبد الله بن سبأ ؛ أفلا يكون هذا كله سبباً فى أن يتهم مؤرخ حديث قصة ابن سبأ ؟

وإن من يرجع إلى ابن عساكر يلاحظ أنه يروى كل ما يتصل بفتنة عثمان عن طرق مختلفة أكثرها طرق محدثين إلا قصة ابن سبأ فإنه يرويها مثل الطبرى عن سيف بن عمر .

على أن ابن سبأ كان له ضربان من النشاط ، نشاط مزعوم فى عصر عثمان ، ونشاط حقيقى فى عصر على . ومع ذلك فالنشاط الأخير قد بولغ فيه على ما هو معروف فى قصته من الحرق والنفى الخ .

وهذا ما جعل مؤلف الفتنة الكبرى يؤخر الحديث المفصل عنه إلى الجزء الثانى من كتابه حتى يلم بهذه الشخصية من جميع أقطارها إلماماً دقيقاً . ألم يقل فى ص ٢٣٢ : « لم نفصل فى هذا الجزء حديث عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، لأنه طويل معقد ، ولأن نشاطه الخطير إنما يظهر فى رأينا أثناء خلافة على فقد أرجأنا حديثه إذن إلى الجزء الثانى من هذا الكتاب » .

وقبل ذلك يقول فى ص ١٣٤ : « وأكبر الظن أن عبد الله ابن سبأ هذا — إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً — إنما قال ما قال ودعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها ، وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا فى أمر عبد الله بن سبأ هذا ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية وليشنعوا على علىّ وشيعته من ناحية أخرى ، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودى أسلم كيداً للمسلمين . وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة » .

ليست قصة ابن سبأ إذن قصة سهلة يسيرة يمكن أن تقبل لمجرد أن يرويها الطبرى عن سيف بن عمر ، بل هى أعمق من ذلك

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٣ ، ٤ ، ٥)

الحرية

للأستاذ كمال دسوقي

٥ — حرية التصرف :

وعلى أساس هذه الحرية العقلية فى التفكير التى قررها «مل» بوضوح وجلاء حتى الآن ، تترتب الحرية العملية فى التصرف ، فللانسان مطلق الحرية فى إبراز آرائه من حيز الفكر إلى حيز العمل ، ومن نطاق العزم إلى نطاق التنفيذ ، ما دام أن عواقب هذه الأمور قاصرة على صاحبها ، وما دام تنفيذها ليس من شأنه أن يضر بالغير ، فحرية العمل والعمل هى الشق المتمم لحرية الفكر والقول . على أن استخفاف الناس بهذه الحرية الشخصية فى ناحيتها ، وقلة إيمانهم بها ، وعدم حرصهم عليها ومراعاتهم لها ، وإغفالها كذلك فى برامج الفلاسفة والمصلحين ، هو العقبة دون تحقيقها ، ولو قد حرص أولئك وهؤلاء فيما يرى «مل» — على امتلاك هذه الحرية والإبقاء عليها وحسن استخدامها ؛ لما كان للمجتمع فى أى أمر من أمورهم أدنى تدخل ، ولو كان ذلك بإرادتهم أنفسهم .

وإعلاناتى ضرورة هذه الحرية الشخصية فى الفكر والعمل جميعاً ، من أنها لا بد لازمة لنمو الملكات ، وظهور المواهب ، ولا يتأتى ذلك للأفراد إلا بأن يلموا أولا بتجارب السلف وخبراتهم ، وأن يستفيدوا بها بادىء الأمر ، حتى يتهيأ لهم تأويلها وتحويرها بما يوافق ظروفهم ومواقفهم ، وحتى لا يصدرون فى أفعالهم وآرائهم عن تقليد وجمود وانسياق ، بل باختيار ومفاضلة ومران عقلى وشجاعة أدبية ، تتحقق معها نفوسهم بما هى نفوس إنسانية ، وتنتظر ملكات هذه النفوس من ملاحظة وتأمل ، وحكم وتدبر ، وعزم وإرادة . فلم نوهب هذه الملكات لنعطلها ونقضى عليها بحجة التسليم للمشيئة — وفى هذا ما يكفى للرد على أنصار المذهب الكانتانى — وإن يكون إنكار الذات بالنسبة للشخص أكثر شرفاً وفائدة من تقرير الذات بالنسبة للمجتمع ، فإن فى ارتقاء شخصية الفرد علواً بنفسه ومجموعه وخصباً لحياتهم خصوصاً وأن آفة مجتمعنا الحديث لم تعد طغيان شخصية الأفراد وبطشها وجماحها بقدر ما فى خضوعها للمجتمع واستكانتها لرغباته ، وانقيادها لإرادته فى العادات وأخص الخصائص كالذوق والحب والكره ، مما يترتب عليه تضاؤل شخصية الفرد بجانب شخصية المجموع ، حتى لقد وجب على المجتمع أن يتدخل لتربية الذوق وتهذيب الحس وإذكاء الضمير فى كل فرد . رعاية لمصالح المجموع ، حتى يوجه عواطف الأفراد وميولهم هذه الوجهة . وفى هذا رد كذلك على الذين يقولون بضرورة حد العواطف والنزعات مع حرية العقل والفكر .

حرية التصرف إذن حق ثابت لجميع أفراد المجتمع خاصهم وعامهم ، لا الحرية المطلقة الكاملة التى لا تعرف حدوداً ، بل بالقدر الذى لا يتعارض مع حرية الغير ، أو يترتب عليه اعتداء القوى على الضعيف ، ولا ضير على الحرية الشخصية من هذا القيد ما دامت تعوض عن تقييد الشطر الأنانى منها بإعلاء الشطر الاجتماعى والخلقى : أما إن حرية التصرف لازمة للخاصة أو العباقرة — على قلتهم — فذلك لأن المجتمع فى حاجة أبداً إلى من يفتح عينيه على أخطائه ، ويسن له عاداته وتشريعه وتقاليده فى تطور تاريخه ويبتكر له ما يرقى حياة أهله فى الفكر والعمل ، وينفث فيه روح الحياة والتقدم ، ولا يتأتى ذلك إلا بتنشئة الأفراد جميعاً

وأبعد . وأكبر الظن أن من حق المؤرخ إزاءها أن يقابل بين الروايات بعضها وبعض وألا يكتفى بوجودها فى الطبرى عن سيف بن عمر .

أما الروايات الثانية أو القصة الثانية التى وقف عندها الأستاذ شاكر فقصة كتاب المصريين وما كان من فهمهم له فى الطريق واطلاعهم عليه ثم عودتهم إلى المدينة ومحاصرتهم لعثمان ، فإن الأستاذ شاكراً لا يأتى بدليل عليها سوى أنها جاءت عند البلاذرى ! كأن الأصل أن يجىء الخبر أو القصة ثم نصدق بها من غير بحث ولا درس ولا امتحان ولا فحص . ومجىء قصة فى البلاذرى لا يحتم صدقها ومن حق كل مؤرخ أن يختبرها ويمتحنها ويتهمها إن كان هناك ما يدعو إلى تهمة .

وبعد فهذه آراء رأيت أن أعلق بها على مقال الأستاذ محمود محمد شاكر للحقيقة والتاريخ .

شوقي ضيف

فى جوّ صالح يمين على إظهار مواهبهم ، والاستفادة بهم ، فهذه الأقلية الممتازة هى القادة ، وإلى هـذه الارستقراطية الفكرية يجب أن يوكل زمام الحكم ، فإن حكومة الطبقة المتوسطة هى كذلك متوسطة ، وكل شذوذ فى المجتمع دليل على وعيه وعبقرية أفراده وابتكارهم . فهم سيقودون وطنهم وإن لم يحكموا ، وأما ضرورة الحرية الشخصية للماديين من الناس فحجتها أن تنوع الأفراد فى المجتمع ، وتنوع ظروف الفرد الواحد منهم ، يستتبع منتهى الحرية فى تنويع أساليب الحيـاة والتصرف التى يأخذ بها الفرد فى كل ظرف يواجهه ، حتى يتكيف فى بيئته ، ويوائم بين نفسه ومجتمعه ، على نحو يجعله غير عاجز عن النهوض بنفسه .

و « مل » يشير فى غير موضع من هـذا الفصل إلى الدور الخطير الذى يقوم به المجتمع فى محاربة العباقرة وتحبيذ حكومة الطبقة المتوسطة ، وإلى تعصب الرأى العام فيه على أى مظهر من مظاهر التفوق والامتياز ، وإلى تحكم العادة واعتراضها سبيل كل تجديد وإصلاح ، وإلى أن الخلاف وتنوع المذاهب وعدم المماثلة — أى فى كلمة فون همبولت — الحرية وتنوع المواقف هى ضمان عدم انزلاق الدول الغربية فى مصير الصين ، ويرى ضرورة الإصلاح آنئذ قبل أن يتم وقوع هذا الخطر .

٦ — مدى سلطان المجتمع على الفرد :

ثمت أذن حقوق فردية تهم الفرد بنوع خاص ، وهو أبصر الناس بها لأنه أعلمهم بغاياتها ووسائلها — وثمت — فى مقابل ذلك حقوق مشتركة تهم المجتمع بوجه خاص ، وله أن يدافع عنها ضد من يمسها أو يعتدى عليها ، بوسائله الخاصة وحقوق كل من الطرفين تعد واجباً على الآخر . فحق المجتمع على الفرد — ما دام يتمتع بالأمن فى كنف رعايته — أن يسلك سبيلا يبتعد به عن الإضرار بمصالح الغير وحقوقه ، وأن يتحمل نصيبه من التبعات التى يفرضها عليه بمجرد كونه عضواً فى المجتمع . وحق الفرد على المجتمع أن ينظم له القواعد التى تبصره بما عليه من واجبات فى معاملته للغير وما له عليه من حقوق ، وأن يدعه فى شئونه الخاصة به يتصرف تصرفاً خالياً من كل قيد ، وأن يكيف جريمة الفرد قبل إنزال العقوبة ، فإن كان قد انتهك القواعد التى سنت لحماية المجموع ، فترتب على ذلك إضرار بغيره ؛ تدخل المجتمع

الضرب على يده حماية لإخوانه ، وأما إن كان تصرفه ناشئاً عن عيوب ذاتية أو اجتماعية فيه ، يترتب عليها الإخلال بالتزاماته الاجتماعية نحو أسرته أو دائنيه أو واجباته بوجه عام ، فللمجتمع أن يوقع عليه المسئولية الأدبية أو القانونية حسبما يراه لا بسبب هذه العيوب الذاتية أو الاجتماعية فحسب الفرد بلاء وجودها فيه — ولكن لما ترتب عليها من إخلال — إذ الأمر هنا يخرج عن نطاق الحرية إلى الآداب والمعاملة ، وأما ما عدا هذا من الأضرار العرضية التى لا ضرر فيها — فعلى المجتمع أن يتحملها عن طيب خاطر ، فإن كفة الخير الذى يصيبه من إطلاق الحرية أرجح من كفة هذا الضرر مهما بلغ ، خصوصاً وأن المجتمع يجب أن يعد نفسه المسئول الأول عن عدم توجيه الأفراد وجهة قويمة — مع ما كان له من سلطة . وأن التعرض للحرية كثيراً ما يؤدى إلى عكس المراد منه ، ما دام الجمهور — أكثرية الأفراد — يحكم فى ذلك على الأقلية المخالفة المستنيرة — بحكم هواه وصالحه — لا بمنطق سليم يرى فى الشىء ضرورة ذاتية تسوغ الأخذ به ، ولا ضرر من القدوة السيئة ، فإنها — وإن كانت تعرض نماذج سيئة من السلوك ، فهى تعرض كذلك عاقبة أصحابها الوخيمة . وعلى الأفراد — على أى حال — أن يتعاونوا ويتناصحوا ويتواصوا فيما بينهم فى أدب ومجاملة بما يحقق خيرهم .

ولتأييد ما يقول « مل » من أن قوانين المجتمع ليست فى حقيقتها إلا هوى الجمهور . وما يرى معه من خطر مبدأ التعرض لو أخذنا به ؛ يضرب أمثلة كثيرة من التاريخ الواقع ، منها عبادة الله على غير المذهب الرومانى الكاثوليكى فى نظر الإسبان ، وموقف أهل أوربا الجنوبية من زواج القسس ، ومصادرة البيوريتانيين أيام نفوذهم فى نيوانجلند لكل أنواع الملاهى والتسلية ، والنزعة الديمقراطية التى ترمى إلى أن تجعل للجمهور أن يتدخل فى تحديد طريقة إنفاق دخل الأفراد ، ومطالبة العمال غير المهرة بألا تزيد أقليتهم الماهرة عن بقيتهم فى الأجر ، واختلافهم حول ضرورة التشريع الخاص بالعطلة الأسبوعية وتبرير الجمهور فعله هذا بالدين ، وأن من حقه حمل الخارجين على إطاعة الدين ، مما ترتب عليه أبشع صنوف الاضطهاد الدينى ، كما حدث فى مذهب « مورمن » الذى وإن كان قد دعا إلى شىء رجعى مستنكر عندهم هو تعدد الزوجات ؛ فلم يكن ينبغى أن يقابل بمثل هذه الوحشية فليس لجماعة أن تحمل غيرها على الرقى والحضارة عنوا ؛ بقدر

ما تستطيع التبشير ومحاربة العقائد الفاسدة فى عقر دارها بوسائل التنوير والإقناع ، ولكنه المجتمع يشرع دائماً وفق هواه ، ثم يستبد بحجة الرأى العام .

تطبيقات :

وإذ تقررت لدى « مل » حرية الفرد فى الفكر والعقل ، فى الرأى والتصرف ، وثبت ضرورتهما لصلاح حال المعيشة وشخصية الأفراد ، شرع يطبق هذه المبادىء على كثير من مشكلات عصره وبلاده — مبيناً فى كل منها متى يحل للحكومة أن تتدخل فى حرية الأفراد — منحازاً — كعادته دائماً — إلى جانب الحرية الشخصية وإطلاقها فى أوسع مدى ممكن ، متخذاً لهذا التطبيق مقياساً تتحدد به مسئولية الفرد أمام المجتمع ينحصر فى قاعدتين :

١ — لا يسأل الفرد أمام المجتمع عن شئ من تصرفاته ما دامت لا تمس غير شخصه ، وهنا فلا سبيل للمجتمع إلا أن يظهر بغضه وكراهته ، وأن يقدم نصحه وإرشاده ، وأن يقضى على ما لا يرضى عنه بمجرد مقاطعته ونبذه .

٢ — أما إذا أتى الفرد تصرفات تعترض مصالح الغير . فللمجتمع فى هذه الحالة أن يوقع الجزاء القانونى أو الأدبى الذى يراه كافياً للزجر ودرء الاعتداء .

ولا يعد إضراراً بمصالح الغير التنافس والمسابقة ، لما يترتب عليهما من إخفاق البعض نتيجة لنجاح البعض الآخر — طالما أن وسائل هذه المنافسة شريفة — لا يدخل فيها غش أو خيانة أو إكراه ، وما دامت الظروف مهيأة للجميع على قدم المساواة — ومسألة حرية التجارة — وإن تكن بعيدة عن الحرية الشخصية — ينطبق عليها هذا القول فيجب إطلاق منتهى الحرية للتجار فى الدعاية والعرض والإعلان وتجويد الأصناف وتحديد الأسعار ، حتى لا يتحكم فيهم إلا حرية المشترين وتفضيل صالحهم فيسير العرض والطلب على قاعدة الحرية للمنتج والمستهلك ، حقاً إن من واجبات الحكومة اتخاذ الاحتياط لمنع الجرائم قبل وقوعها والأهبة لاكتشافها بعد وقوعها ، وعلى هذا فليس لها بإزاء منع استخدام المواد السامة فى الجرائم إلا أن تحتاط «بالأدلة السلفية» أى إجراءات التوقيع والشهود وما يساعدها على كشف الجريمة إن وجدت ، وإزاء التصرف الشخصى السيء كالسكر والبطالة إلا المراقبة والمعونة على عدم الإضرار بالغير . أما بإزاء التحريض على إتيان أفعال شخصية يعتبر الجهر بها إخلالا بالآداب كبيع الخمور وفتح بؤر القمار ، فى أماكن عامة . ابتغاء المنفعة الشخصية فيجوز تدخل الحكومة لحمل هؤلاء على التحجب والخفاء ، وحصر هذه فى أقل نطاق ممكن ، بفرض ضرائب باهظة على المسكرات تقلل من طلابها وتحرمها على غير القادرين ، وتحديد عدد الحانات ومراقبة سلوك أصحابها وموعد عملهم والترخيص لهم ، وإزاء العقود والاتفاقات التى يبرمها الأفراد لمصلحتهم فيما بينهم القيام على الوفاء بها فى النواحى المالية خصوصاً ، وفسخها وعدم الاعتراف بها إذا كانت تحمل بيع حرية الفرد — مع مراعاة التزاماته وواجباته قبل هذا الفسخ — كما فى عقود الزواج والطلاق — وفيما عدا هذا فليس ما يمنع عن الفرد خيار التقايل والنكول .

وفى مقابل هذه الأمور التى يجوز للحكومة أن تمنعها . هناك أمور يجب عليها أن تمنحها . ومنها تسوية المرأة بالرجل وحمايتها من استبداده وما يزعم لنفسه من سلطان ، وأن تهيئ لكل وليد من رعاياها حق التربية وقسطاً من التعليم ؛ متحملة هى نفقات الفقراء ، وإعانة الآباء ؛ تاركة للمختصين بالتعليم أن يقوموا عليه حافزة إياهم على منافسة مدارسها الأميرية والقضاء عليها ، وأن تجعل امتحاناتها بعد المرحلة الأولى اختيارية فى حقائق العلم الثانية ، خصوصاً فى العلوم العليا كالفلسفة والعقائد (اللاهوت) ، وأن تمنح من يؤدى هذا الامتحان بنجاح شهادة يزاول بها مهنته دون أن يعترضه أحد . وبالجملة تهيئة الفرص التى قد يفوت الآباء إدراكها حين يسترسلون فى معارضة الحد من النسل مع عجزهم عن إسعاده .

و « مل » يناقش أخيراً مدى حق الحكومة فى تولى شئون الأفراد ، فيرى أنه لا وجه لتدخل الحكومة للعمل لهم — حين يكون لطائفة منهم القدرة على إتقانه أكثر — أو لا يكون ذلك . ولكن من الخير أن يروض الأفراد أنفسهم على القيام به . أو حين يكون فى اتساع اختصاص الحكومة ذهاب بالإتقان والتخصص ، وهو هنا يميل إلى اللامركزية ، وإلى توزيع سلطات الحكومة على المختصين والمهرة ، على أن يظلوا خارج الحكم ، فإن حشدهم للخدمة الأميرية يميت ملكاتهم ، ويجعلهم أكثر استبداداً ، والشعب أكثر عجزاً

وخضوعاً ، وانسياقاً إلى خدمتهم ؛ فيموت العمل الحر . بل الواجب أن نجعل كل طائفة بحيث تصلح حكومة بذاتها . وأن نعود الأمة الاعتماد على النفس ، ونخلق منها عناصر جديدة أبداً ولا نحتكر المواهب فى طبقة منها ؛ بل نعمل دائماً على تنشيط هممهم وحفز عزائمهم وإنماء كفاياتهم ؛ فإنما قيمة الدولة بأفرادها

وبعد : أرأيت كاتباً ينتصر للحرية ويدافع عنها بمثل هذه البراعة والقدرة ، والتحمس والإقناع ؟ ...

كمال دسوقى

الأدب والفن فى أسبوع

نشوء القومية عند الأتراك :

كانت المحاضرات الثلاث السابقة التى ألقاها الأستاذ ساطع الحصرى بالجمعية الجغرافية الملكية فى نشـوء فـكرة القومية فى أوربا ، وقد انتقل إلى الشرق فى المحاضرة الرابعة التى ألقاها يوم السبت ، فتحدث عن « نشـوء فـكرة القومية عند الأتراك — التيارات اللغوية والتاريخية التى رافقتها وساعدتها » فقـال إن الدولة العثمانية كانت فى أول أمرها تتجه إلى الفـكرة الإسلامية العامة وخاصة بعد أن تم لهـا فتح مصر وانتقلت إليها الخلافة الإسلامية ، وفى الربع الأخير من القرن التـاسع عشر كانت الأفـكار الوطنية قد امتدت إليها من أوربا ولـكنها أخذت صبغة إسلامية ، فكان الأدباء والشعراء يتحدثون عن الوطنية والقومية متجهين نحو التاريخ الإسـلامى والعواطف الدينية ، وتطورت الأفـكار بعد ذلك حتى أخذت فـكرة القومية وضعها الأخير .

وبيان ذلك أن هذا التطور قام على نواح ثلاث : اللغة والتاريخ والسياسة ؛ أما من حيث اللغة فقد كان هناك لغتان : لغة الأدب الراقى ، ولغة الأدب الشعبى ، وكانت الأولى خليطاً من التركية والعربية والفارسية فى الألفاظ والتراكيب والقواعد وأوزان الشعر ، وكانت لغة شعراء القصور الذين هم عماد الحياة الأدبية الراقية ، أما لغة الشعبيين فكانت تركية بحتة ولها أوزان عامية ليس فيها شىء من العربية . وحدث فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن ظهرت دعوات إلى التجديد فى اللغة والأدب ، ونشأت مذاهب فى ذلك ، بعضها — وهو المعتدل — يدعو إلى بقاء الألفاظ العربية والفارسية التى سارت على الألسنة مع التزام القواعد التركية ونبذ القواعد العربية والفارسية كالاضافة والنسب وغيرهما ، ودعا بعض المذاهب إلى التخلص من كل ما هو أجنبى فى اللغة والأدب ، ونظم الشعراء المجددون على الأوزان العامية . وقد اشتجرت الأقلام فى هذا الميدان ، حتى انتهى الأمر أخيراً إلى تغلب اللغـة التركية ، فهجرت الأوزان والقواعد العربية والفارسية ، واصطبغت الأخيلة بالألوان الأوربية والآداب الشعبية ؛ أما الألفاظ فقد بقى كثير منها حتى تغيرت حروف الـكتابة ، فتغير نطق الـكلمات العربية وهيآتها تبعاً لتغير الحروف .

وأما التاريخ فقد كانت الدولة العثمانية تسير فيه على العناية بالتاريخ الإسلامى وعدم الالتفات إلى التاريخ التركى قبل الإسلام ولـكن لمـا اتجهت الأنظار نحو القومية التركية تغير الاتجاه فى الدراسة التاريخية ، فأخذ تاريخ الترك قبـل الإسلام مكانه مع التاريخ الإسلامى ، وتغـير نظر الأتراك إلى بعض الشخصيات التركية التى كانت تذكر فى التاريخ باللعن والسخط .

وبذلك سارت اللغة والتاريخ فـكرة القومية فى تركيا ، فأثرا فيها ، وأثرت فيهما . وقد أدى كل ذلك إلى نشوء الشعور الوطنى وحدوث التطور السياسى الذى جاء بعد التجديد فى اللغة والتاريخ . وبدأ العمل السياسى فى أوائل القرن العشرين خارج تركيـا . وذلك أن الدعاة إلى الأفـكار السياسية هاجروا إلى بعض البلاد كمصر وسويسرا ، ونشروا فيها أفـكارهم بوساطة الصحف وإرسال المنشورات السرية إلى البلاد التركية ، وكانت الآراء السياسية مختلفة ، فجماعة يدعون إلى الوحدة الإسلامية ، وآخرون يدعون إلى العثمانيـة ، وفريق ثالث يعتنق الفـكرة التركية البحتة .

ولمـا أعلن الدستور فى تركيا ظهرت الدعوات فى داخل البلاد ، وأخذ كل فريق يؤيد رأيه ، وتعاقبت الحوادث ، ففصلت بين هذه الآراء بحكمها .

وختم الأستاذ المحاضرة بأن كل ذلك يدل على أثر اللغة والتاريخ فى الفـكرة القومية عند الأتراك ، وأن هذا يؤيد ما ذهب

إليه في المحاضرات السابقة من أن القومية كانت حي روحه اللغة ووعيه التاريخ ، وقال إنه سيبين ذلك أيضاً في نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية ، بالمحاضرتين الآتيتين .

نشيد الجامعة العربية :

في أوائل العام الماضي أعلنت الجامعة العربية عن مباراة لوضع نشيد للجامعة العربية . ولما دنا الموعد المحدد لقبول الأناشيد نظرت فيما تجمع لديها ، فلم تجد فيه ما يصلح ، فأفسحت الوقت ومدت الأجل ، ثم ألفت لجنة للفحص . وانتهى الأجل الممدود وفحصت اللجنة الأناشيد المقدمة ، فلم تجد بينها ما يصلح اتخاذه نشيداً للجامعة . ومما يذكر أنه لم يتقدم إليها أحد من الشعراء المعروفين ، ورأت اللجنة أن تجيز أحسن ما قدم ، فاختارت نشيدين عهدت بأحدهما إلى المعهد العالي للتمثيل والموسيقى ، وبالثاني إلى الجامعة الشعبية ، على نحو ما ذكرت قبل الآن . وقام المعهدان بالتلحين والإلقاء ، وحضرت اللجنة الثقافية بالجامعة العربية التجربة في كل من المعهدين ؛ واستقر الرأي بعد كل ذلك على عدم صلاحية أي النشيدين ليكون نشيداً للجامعة العربية . ورئي مع ذلك أن يظل الباب مفتوحاً للراغبين في نظم الأناشيد ليتسنى اختيار أحدها واعتباره نشيداً رسمياً للجامعة العربية .

قلت في مناسبة سابقة إن طريقة المسابقات للحصول على إنتاج أدبي لغرض ما — طريقة أصبحت غير مجدية ، لأن المبرزين بأنفسهم من ذوي الكفايات يأنفون من دخولها بغض النظر عما يبديه الساخطون من عدم الثقة بالمحكمين ، وأشرت وقت ذلك بأن يطلب ما يراد ممن تعرف مقدرتهم فيه . وكان « البسام » الذي يحلو له أن يتكنى في الأسم غير مكتف بما كنى في بعض ما أرى — قد كتب إليّ يقول : « قد يكون الذي يطالب منه أن يضع نشيداً شاعراً عبقرياً ولكنه لا يحسن الأناشيد أولا يميل بطبعه إلى نظمها فكيف يطلب منه ما لا يحسنه أو لا يوافق طبعه ؟ » وليس عندي دفع لهذا الاعتراض وإن كنت أحتفظ برأيي للتجريب على الأقل ، فهل تأخذ به الجامعة العربية فتعهد إلى من تأنس فيهم القدرة بوضع أناشيد كما صنعت مع من يضع لها معجم البلدان العربية ؟ أو تأخذ برأي « البسام » فتسكت حتى يفتح الله على من يضع لها النشيد المطلوب ؟ وإني أسبق « البسام » فأقول قبل أن يكتب إلي : هذا نشيد الجهاد لفلسطين ، تقدم به الأستاذ حسن أحمد باكثير ، من غير مسابقة ، فاستحسن ونجح قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية في تلحينه وأدائه . فهل يصنع مثل هذا غيره من المجيدين المتحرجين من التسابق ؟

قواعد جديدة للإملاء :

وضعت لجنة الإملاء بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مشروعاً يتضمن قواعد جديدة للإملاء ، وقد مهد له ببيان الحافز على هذا العمل وهو تسهيل الكتابة على المبتدئين ومتعلمي العربية من غير أهلها والقضاء على اختلاف الكتابة بين الأفراد وبين الأمم العربية الناشئ عن اختلاف العلماء في قواعد رسم الحروف ، وذكرت أن أساس مشروعها أن تطابق الكتابة النطق .

والقواعد التي تضمنها هذا المشروع هي كما يلي :

١ — كل ما ينطق به يرسم في الإملاء ، إلا كلمة «الله» .

٢ — كل ما لا ينطق به لا يرسم ، إلا همزة الوصل ، ولام (أل) الشمسية .

٣ — الهمزة في أول الكلمة ترسم على ألف مطلقاً ، المضمومة والمفتوحة فوقها والمكسورة تحتها .

٤ — الهمزة المتحركة متوسطة ومتطرفة تكتب على حرف مناسب لحركتها ، ويستثنى من ذلك الهمزة إذا كانت متطرفة وقبلها ألف فتكتب مفردة .

٥ — الهمزة الساكنة متوسطة ومتطرفة ترسم على حرف مناسب لحركة ما قبلها .

٦ — الألف اللينة يرى بعض أعضاء اللجنة أن ترسم ألفاً مطلقاً ، ويستثنى بعضهم على وإلى وحتى وبلى ومتى وأنى .

٧ — كل كلمتين اجتمعتا تكتب كل منهما منفصلة عن الأخرى ، إلا إذا كانت الكلمة الأولى (أل) أو كانت كلتا الكلمتين أو إحداهما على حرف واحد ، وإذا حصل بين الكلمتين إدغام كتبتا كلمة واحدة على حسب النطق .

٨ — يرسم التنوين ألفاً في حالة النصب ، إلا المختوم بالتاء المربوطة .

وقد نظر مؤتمر المجمع في هذا المشروع ، فرأى أن يستمر مجلس المجمع في بحثه ومقارنته بالقواعد الإملائية التي أوصى بها المؤتمر الثقافي العربي الأول ، ثم تعرض النتيجة على مؤتمر المجمع في السنة الآتية .

وقد قارنت بين هذه القواعد وبين قواعد المؤتمر الثقافى فلم أجد بينهما إلا اختلافاً يسيراً جداً . وقد فرغ المؤتمر الثقافى من تقرير قواعده مع كثير غيرها فى بضعة أيام . فما الداعى إلى إرجاء هذا الموضوع ، اليسير فى مادته الكبير فى أثره ، إلى السنة القادمة ؟ أهى طبيعة المجمع تلازمه فى كل أمر وإن هان ؟

سياسة تشجيع التمثيل :

دعت نقابة ممثلى المسرح والسينما لسماع محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين بك فى : « سياسة تشجيع التمثيل » يوم الإثنين ، وقد بدأ بذكر الأساس التى تقوم عليها رعاية الحكومة لهذا الفن ، فقال : إنها تبدو فى نواح أربع ، هى الفرقة المصرية للتمثيل ، والفرق المدرسية ، والمسرح الشعبى . وأسهب فى الكلام على الفرقة المصرية ، ومن أهم ما أفاض فيه كيفية اختيار الروايات . فقال : إن هناك لجنة لهذا الاختيار اسمها : لجنة القراءة (والمحاضر عضو فيها) مهمتها بطبيعة الحال اختيار الرواية الصالحة للتمثيل . ولا شك أن الروايات الغربية تتوافر فيها العناصر الفنية ، وهى وإن كان يجب تقديم بعضها ولا سيما العالى منها ، إلا أنه لا بد من رعاية الجانب المحلى فى التأليف بتقديم روايات مصرية . ولكن الواقع أن المسرح لا يجد ما يصلح من هذا النوع إلا قليلا ؛ لأن كبار الأدباء عازفون عن التأليف للمسرح ، إما ترفعاً عنه ، أو لعدم الميل إليه ، أو لقلة ما يتوقع من كسبه بالنسبة إلى ما يكسبونه من تأليف الكتب . وقد جربت طريقة المسابقات فلم تؤد إلى نتيجة طيبة ؛ لأن الكبار يأنفون الدخول فيها ، وما قدم لم يلف صالحاً ؛ حتى إنه فى إحدى المسابقات رأت اللجنة عدم استحقاق أى رواية مما قدم إليها لأى جائزة ، وفى المسابقة الأخيرة أعلنت اللجنة أنها ستمنح الجوائز للأحسن ، ومنحت فعلا الجوائز لخير ما قدم وإن كان لا يصلح للتمثيل . فرأت اللجنة علاجا لهذه الحال أن تطلب زيادة المبلغ المخصص لتشجيع التمثيل ، حتى تستطيع أن تشترى كبار المؤلفين بأجور ترضيهم . ولكن وزارة المالية لم توافق على هذه الزيادة . وهنا ذكر المحاضر رأياً للدكتور هيكل باشا أفضى إليه به ، وكان يحدثه فى هذا الموضوع ، وهو أن تذكر اللجنة فى طلبها أسماء المؤلفين الذين ستطلب منهم تأليف روايات لمواجهة النقص البادى فى التأليف المسرحى ، وتحدد العمل والأجر ، فإذا تم ذلك فستوافق المالية .

ومن أهم ما ذكره المحاضر أيضاً : مسألة « الاعتمادات » المخصصة لتشجيع التمثيل ، قال : إن الجهود الفردية فى المسرح لا تستطيع أن تستمر وحدها من حيث المال . لأن المسرح ليس له جمهور يكفيه من هذه الناحية فلا بد من إعانة الحكومة وهناك عدة نواح تتطلب هذه الإعانة لتشجيع التأليف وتكبير الفرقة المصرية بضم الكفايات البعيدة عنها إليها ، وإعانة فرق أخرى تنافس الفرقة المصرية منافسة يستفيد منها الفن . ولكن المبلغ المخصص لذلك هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، لا يكفى ، وقد فكرنا فى تحويل بعض الإعانة التى تبذلها الحكومة للفرق الأجنبية ومقدارها أربعة عشر ألف جنيه إلى التمثيل المحلى ، وذلك بالاكتفاء ببعض هذه الفرق ، مع ما فى ذلك من إفساح المجال للفرق المصرية على مسرح الأوبرا . .

وقد عقب الأستاذ يوسف وهبى بك ، بأن المحاضر لم يتناول فى محاضرته مسألة إيجاد المسارح اللازمة للعمل ، والواقع أن القاهرة ليس فيها مسرح يصلح للتمثيل غير مسرح الأوبرا الذى تحتله الفرق الأجنبية جزءاً كبيراً من العام . أما مسرح الأزبكية الذى تمثل فيه الفرقة المصرية عندما تضطرها إليه الفرق الأجنبية فهو غير صالح من الوجهة الفنية . وقال يوسف بك إنه يجب أن تحول إعانة الفرق الأجنبية كلها إلى التمثيل المصرى ، فليس من الجائز أن يأكل الضيف كل ما فى البيت والعيال والزوجة جائعون .

وعلى أثر ذلك صعد الأستاذ محمد الشريف فأعلن أن لجنة الشئون الاجتماعية بمجلس النواب وافقت على إنشاء مسرحين بالقاهرة ، أحدهما صيفى والآخر شتوى .

والملاحظ أن كل هذه الأفكار والاتجاهات الطيبة ليس فيها شىء انتهى الأمر فيه إلى التنفيذ ، فما هى إلا أمان ومقترحات . والملاحظ أيضاً أن الدولة لم تقدم بعد على عمل شىء لانقاذ هذا الفن الجميل فى مصر . والغريب أنك ترى مما تقدم أن ما تمان به الفرق الأجنبية أكثر مما يناله التمثيل المحلى ، مع أن الأولى تلاقى رواجاً كبيراً من جانب جمهورها الذى يتألف من الأجانب وبعض الأثرياء ، وهى تقتضيهم أجوراً مرتفعة ، مما لا حاجة معه إلى إعانة الدولة ، وإن لم يكفها جمهورها فلتذهب إلى جهنم .

العباس

في مولد الرسول:

لمن النـــور ؟!

للشاعر أحمد هيكل

لمن النـور يغمر الأرجاء   ويحيل الظلام فيهـا ضياء ؟
أهو البـدر قـد تفجر نبعاً   من لجين يفضض الصحراء ؟
أهو الفجر قد تقدم جيشـاً   رفع النـور في يديه لواء ؟
أهو الصبح حائـكا عبقرياً   نسـج الضوء للوجود رداء ؟
لا ، فهذا الضـياء يُسكب في الأعين هدياً ورحمة وشـفاء .
وجـدته العيون أعذب ري   كورود ترشَّفتْ أنداء
إنه نورُ وجهِ خـير وليـد   هبط الأرض باسماً لألاء
ما لنخل الصـحراء يرقص كالغيد   ويبـدى تخلماً وانثنـاء ؟
ما لهـذى الجبال أضحت قلوباً   في ضلوع الصحراء تُحيي الرجاء؟
ما لتلك الغدران تضحك والمـاء   سكوب من ثغرها صهباء ؟
ما لهـذى القفار صارت رياضاً   ثم أضحى هجيرها أفيـاء
لا ، فإن الربيع يمكث حيناً   ثم يمسى هواجراً أو شتاء ؟
والربيع القدسى خـلده الله ليمحو عن الوجود الشقاء ؟
ليس هـذا الربيع غـير وليد   جعـل الأرض جنة فيحاء
يا يتيما كالدر سُـدْتَ – على اليتم – ملايين أدركوا الآباء
يا وحيـداً له نفوس البرايا   يتمنَّين أن يكنَّ إماء
يا عليما وما خـططت حروفا   أنت أعجزت في الورى العلماء ؟
يا فقـيراً وبين جنبيك كنز   ترب نعليك يشـترى الأغنياء
قم تراهم عموا وصموا قلوباً   ودعاء الفقـير شق السماء
ولقد كنتَ من قليلك تسخو   فإذا جدبها يصـير رخاء
كم قسمت الأموال تمسك بعضا   ثم تعطى جميعهــا الفقراء
فتآخى الجميع وانبســط العــدل ظلالا وريفة سجواء
إن حق الأفراد في أى أرض   أن يعيشـوا في أرضهم أحياء
يا رسولا دعا القلوب إلى الحب وأنسى الخصـــام والبغضاء
أنت شـــيدت بالتآلف للعُـرب صروحاً تصافح الجوزاء
في ظلال الإسلام أقدس دوح   عطَّر الكون ألفـة وإخاء
ثم دار الزمان وافـترق القوم دروبا وفرقـــوا أهواء
فمشى النسر كالزواحف في الأرض يجرُّ العظام والأشلاء
وغـدا الجمع كالقطيع شتيتا   راح ناب الذئاب فيهم وجاء
ثم قالوا : مـذلة واحتلال   وأرادوا تحـرراً وجـلاء
ومن الحمق أن نـكون شتيتا   ثم نبغى تقـدما وارتقـاء
ليس ينجى سوى تآلف قومى   ليردوا تلك النقاض بناء
ثم نمضى إلى الأعادى جيوشاً   نعشق الموت لا نهاب الفناء
فمن الخزى أن نعيش على القيد ونحيا في أرضناء غرباء

أحمد هيكل

دنياي قبر ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

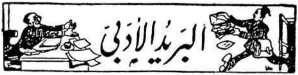
يا حبيبي ما بين كفيك روحى   تتـلوى وللأماني بـكاء
كيف أسلمتها إلى ليل هجر   تتمـادى به وأنت الضـياء
لم تزل تشتكي الصدى يارحيقاً   تشـتهى برده القلوب الظماء
هي ترضى من ناظريك بوعد   لا تدعها يقضى عليها الجفاء

يا حبيبي عطـر شبابى ونظر   امنياتى فقـد جفاها الدواء
كيف خلفتني ببيـداء حبى   أتلظى وأنت ظـلٌّ وماء
أنت لى واحة من الحب نشوى   فوق شطآنها يرف الهناء
ملء أرباضها صفاء وسحرٌ   ملء أجوائهـا الهوى والوفاء
عالم للجـمال باركه الحب   ووشـته كفـه السـمحاء

يا حبيبي لولاك دنيـاىَ قبرٌ   ملؤه من هواجس أشلاء
أنا في ظلك الحبيب أغنى   أغنيات الهوى فتصغى السماء
أنا أهواك يا متمم نقصى   أنت بعضى فالبعد عنك فناء

يا فكاك الأسير من قبضة الأشـــواق رفقاً فأنت أنت الشفاء
أو تنسى ما قلت بالأمس إنى   لست أنسى هواك أنت الرجاء
لا تخن ود شاعر بك صب   وارع عهداً يصونهُ الشعراء

(بغداد)   عبد القادر رشيد الناصري



معروف الأرناؤوط فى حمى الخالدين :

استردت السماء إليها فى الأسبوع الخالى إحدى ودائعها العزيزة عند الأرض ، حين وافى الأجل فقيدنا الغالى معروف الأرناؤوط ..

والأرض والسماء تتبادلان ودائعهما فى غير انقطاع ؛ ولكن فرحة الإنسانية باستقبال إحدى هذه الودائع قلما تعادل نكبتها بالخروج عنها وتشييعها إلى مستقرها .

وأبناء الحياة يودعون كل يوم أو كل ساعة راحلا منهم إلى العالم الآخر ، ويأسى منهم من يأسى ، حيناً من الدهر ، ثم ترقأ الدموع ، وتندمل الجراح ، ويمر النسيان بكفه على الأثر ، فيمحى كل شيء إلى الأبد .

ولكن الموت يخترم منهم بين الفينة والأخرى واحداً بعينه ، فإذا صوت الناعى يعلو على الأصوات كلها ، وإذا سحابة الحزن تخيم على الرؤوس جميعها ، ثم إذا الجرح أعمق من أن تأسوه الأيام ، والأثر أبلغ من أن يغطى عليه النسيان ..

لقد نعى إلينا الناعى معروفاً فى ساعة مبكرة من يوم الجمعة الثلاثين من شهر يناير ١٩٤٨ ، فعقدت الفاجأة ألسنتنا ، وبلبلت أفكارنا ، وأثارت لواعجنا ، وأطلقت شؤوننا ؛ ولم نكد نثوب إلى أنفسنا حتى عرفنا أية خسارة فادحة خسرتها الأمة العربية بفقده ، وأى رفد عظيم حرمته العربية بحرمانها منه .

وسار الموكب الرهيب بجثمان الفقيد ، بعد ظهر السبت ، ومشى خلفه نائب صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ، وفئة من الوزراء ، وأصحاب المناصب العليا ، وجمهور غفير من خاصة أهل الفضل والعلماء والأدباء الذين تداعوا إلى العاصمة من لبنان والعراق ، وجيش لجب من رجال التربية والثقافة وعامة الناس .

سار الموكب الرهيب خاشعاً موقراً ، حتى إذا لم الراحل مأمنه ، انقلب الناس راجعين ، وفى كل عين دمعة ، وعلى كل شفة خلجة ، وبين كل نفس ونفس معنى يصوغ الأحزان ويهيج الخواطر الباكية ! .

والآن ، لقد تجاوز معروف الأرناؤوط هذا الأفق الأرضى ، وانبتت صلة المادة بينه وبين أبنائه ، وانصرف عن هذا التهافت العاجز ، وابتعد عن هذا الضجيج العابث ، الذى نفرغ جهدنا — نحن — فيه . وعرجت روحه إلى أولمب الخالدين ، وانضم إلى زمرة أرباب الفن ، لينعم بمباهج ذلك العالم الخالد الذى طالما طمح إليه بأفكاره ، وليطمئن إلى محاسن تلك الحياة التى طالما حلق بخياله إليها ، وليغمر قلبه بنور الأبد الذى طالما حلم به وحن إليه ..

وعاد من عرف معروفاً ، فاعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه ، يغالب لوعته وينطوى على أشجانه .

ولئن خلا هو إلى رحمة ربه ، فإن عمل معروف وروح معروف وفن معروف ، هنا فيما ترك بين أيدينا من كتب ومقالات ، وفيما حفظنا له من أحاديث وأقوال !

كان معروف الأرناؤوط طبقة وحده بين الأدباء ، تهيأ له الذوق الفنى ، والخيال الخصيب ، والذهن المشرق ، والقلب الزاخر بالحياة والإحساس ، والنظرة النافذة إلى دقائق المعانى ، والقدرة العجيبة على انتقاء الألفاظ وتنسيقها وصوغ العبارات التى تستأثر بالإعجاب ..

كان ، كما لا يمكن أن يكون كل كاتب ، يريق من روحه وعواطفه وعبقريته على ما يكتب ، فإذا هذا الذى كتبه ينضح عطراً ، ويلتمع ألواناً ، ويترقرق عذوبة وألحاناً ...

كان حسبى ، إذا اصطلحت على نفسى الهموم ، وتداءبت على قلبى الأحزان ، وتضافرت على المخاوف ، فى ساعة من ساعات القلق والشك ، أن أمد يدى إلى (سيد قريش) ، حتى أجد عنده سكينة نفسى ، وحتى أجد حلاوة هذه الفصول قد اتصلت بقلبى ، وحتى أجد فن معروف يرفعنى رويداً رويداً إلى دنيا غريبة فذة من الأمانى المحببة والأحلام الجميلة والأخيلة البديعة ... ولم يزل ذلك حسبى !

إيه معروف ! لقد خلفتنا فى دنيا غلب عليها الشر ، وعدا عليها وعلى أبنائها الشقاء ، والتاثت عليهم سبل العيش ، وابتذلت

المقايس الكريمة والمثل الرفيعة ، وعز عليهم أن يجدوا الطمأنينة لأنفسهم المرهقة .. خلفتهم وهم أحوج ما يكونون إلى نفحات القلب الكبير الذي يحمله الأدباء الكبار أمثالك ، وإلى نفثات القلم الملهم الذي يتحرك في يد الكتاب أندادك ، يلتمسون عندها العزاء والراحة والسلوة .

رحمك الله ، وأنعم عليك بالجنة والرضوان .

محمد الأرناؤوط

الفتنة الكبرى

اطلعت على الكلمة التي نشرت في هذا العدد تعليقاً على مقال لي عن كتاب الدكتور طه حسين عن الفتنة « الكبرى » فلما قرأته آثرت أن لا أضيع على قراء الرسالة صفحات في نقد كلام الدكتور شوقي ضيف ، فعجلت بكتابة هذه الكلمة .

وليأذن لي الدكتور طه حسين أن أوجه الكلام إلى الدكتور شوقي ضيف ، في بعض ما جاء في رده عليّ .

فأول ذلك أن الدكتور شوقي قد أطال في كلام أكثره موجود في كتاب الدكتور طه ، كأنه أراد أن يشرحه ، وكان وكنا في غنى عن مثل هذا الشرح .

والثانية أنه أطال أيضاً في الأسباب الموجبة لنفي قصة عبدالله ابن سبأ ، ونحن لم نقل أننا نثبتها برواية الطبري وحسب ، بل قلنا إن الدكتور طه زيف القصة بأسباب لا تستقيم ، وهذه الأسباب مذكورة في مقالي ولم يتنبه الدكتور شوقي إلى ضعفها وتهافتها . أما إثباتنا لها فسيأتي فيما بعد بطريق آخر غير الذي ظنه الدكتور ضيف .

والثالثة أنه ذكر عن ياقوت شيئاً في شأن تفسير الطبري وتاريخه ، وهو أن الطبري روى في تاريخه أشياء عن رجال ليسوا عنده بثقات ، وأنه لم يرو عنهم مثل ذلك في تفسيره لمكانهم من التهمة في رأيه . وشرح ذلك أن للطبري رأياً في قوم ليسوا بثقات عنده ، فنزه التفسير عنهم لأنه أمر دين تجب منه الحيطة الشديدة ؛ أما التاريخ فليس لمثل هذه الحيطة فيه مكان . وموازين المحدثين والمفسرين في رد الرجال وتجريحهم ، لا يمكن أن تطبق على أهل التاريخ وسواهم من أدباء ورواة . ولو صح ذلك لأسقطنا رواية التاريخ كله ، ورواية الأدب كله ، ورواية اللغة كلها ، . وأظن أن الدكتور ضيف لم يعط هذا الأمر حقه من النظر والتدبر .

ولست فيما أظن أيضاً مكلفاً بشرح أصول هذه الفنون لكل امرىء لم يطلع عليها أو لم يعرفها حق المعرفة ، إلا أن يسأل سؤالاً منزهاً عن مواضع اللجاجة في الانتصار لفلان أو فلان .

والرابعة أنه تسرع في ذكر أشياء نمفيه من نقدها ، لأنها تطول وشرحها يطول أيضاً . ولكني على ثقة من أن الدكتور طه يعرفها كما أعرفها ، وتبين موضع الغمز فيها

ومهما يكن من شيء ، فإني كتبت ما كتبت عن « الفتنة الكبرى » ولم أتممه بعد ، ولعل الأستاذ لو صبر قليلا لرأى ما يرضيه أو يقنعه . أما العجلة فلا تأتيه بشيء إلا تراكب الخطأ على الخطأ ، ونحن إنما نكتب لنزيل الأخطاء لا لنراكبها بعضها على بعض .

وليعذرني الأستاذ إذا رأى أني لم أبين له البيان الشافي في مسألة الرواية في التاريخ والحديث والتفسير ، وكيف تكون وما شروطها ، وما ينبغي أن ينظر إليه الباحث مرة ، ويتجاوز عنه أخرى في هذه الأشياء ، فإن شاء أن يتحراه على وجهه ، فليسأل الدكتور طه نفسه ، فهو يدله على المصادر التي تعينه على بيانها إن شاء الله ...

محمود محمد شاكر

١ — تصانيف ابن تيمية :

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد الأمين في عدد « الرسالة » ٧٦١ فرأيت أن أنقل من كتب الثقات ما يؤيد قول « المفصل في تاريخ الأدب العربي » : وبلغت مصنفاته ثلاثمائة مجلد .

جاء في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٦ ص ٨٤ في ترجمة الحافظ تقي الدين بن تيمية : قال الذهبي في عد مصنفاته المجودة : وما أبعد أن مصنفاته إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة .

وقال ابن كثير نقلا عن البرزالي : وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع كمل منها جملة بيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ،



نهـــاية حب

للأستاذ زهدي الشواف

لو قدر لكل إنسان أن يحب كما أحببت ، وأن يمنى بالحبيبة كما منيت ؛ لفاض ينبوع العواطف في هذه الدنيا .

لقد قضيت ربق شبابي على مقعد الدرس ، وصرفت زهرة أيامي وأنا أقلب صفحات الكتب . ولقد كنت أحسب أن هذه الأوراق الجامدة ستنال مني ؛ فتحد نشاط عاطفتي . ولكني كنت مخطئاً في ظني ؛ إذ كنت كلما انصرفت لحظة عن الدرس طالعتني العيون الناعسة فعدت وكأني لم أقض لحظة إلى جانب كتاب ، ولم أمض ثانية بعيداً عن تيار العاطفة الجارفة .

وظللت تبيم العاطفة ؛ فأمضيت حقبة من الزمن سادراً لا أرعوى ، حتى قيض الله لي الصدمة التي أبرأتني من الداء .

كان ذلك في صبيحة يوم من أيام الربيع في حماة ؛ فقد استيقظت باكراً ومضيت للحقول أمتع العين بمفاتن الطبيعة ، ولم يطل بي الطواف كثيراً ؛ فقد كان عقرب الساعة يسرع في جريه فيدنو من الثامنة . وكانت المدرسة تتمثل لي من ورائه ، وكانت دقات الجرس ترن في أذني مؤذنة بحلول الدرس الأول ... يا إلهي كيف أترك هذا الهواء الطلق ، وهذه الجنان الرحبة ... لأنحدر إلى الغرفة الضيقة ... إلى الهواء الحبيس ! . وكيف أضحى بهذه الحرية المطلقة لأستريح إلى نظام أقل ما يقال فيه إنه غول الحرية ! ولم أذهب في تفكيري بعيداً فلم يبق للثامنة إلا دقائق عشر لا تكاد تكفي الوصول إلى المدرسة .

وعدت أدراجي آسفاً ، وانحدرت إلى المدينة لا ألوى على شيء . وبينا أنا في الطريق قرع مسمعي نبرات صوت عذب فرفعت رأسي لأتبين مصدرها ، فإذا أنا أمام جبين وضاح يبهر بنوره شمس تلك الصبيحة الفاتنة .

إنها فتاة في مقتبل العمر ، وقفت في نافذة بيتها تتلهى برؤية المارة . لقد انحنت قليلا ممسكة شعرها المتهدل بيمناها وراحت تداعب بيسراها قطتها الجميلة . ولقد لبثت هذه القطة ترنو إليها شاخصة ذاهلة ، كأنها قد سحرت بزرقة تلك العيون ، أو أنها فتنت بمنظر ذلك الجبين ... ولم أشعر إلا وقد طرحت كتبي على الأرض ثم جلست فوقها ورحت أرنو إلى النافذة شاخصاً ذاهلا .. لقد أنساني هذا الجمال كل ما قد شهدت في الحقول من جمال ، وأبعدت هذه العيون شبح المدرسة عن فكري . وكأن قطتي هذه لم ترق للآنسة المحترمة ؛ فإنها لم تكد تراني أحدق في وجهها حتى اعتدلت بوقفتها وسوت شعرها بيدها ثم أغلقت النافذة وانصرفت .

أما أنا فقد لبثت في مكاني أفكر بحظي التاعس ، وأقرن نفسي إلى تلك القطة السعيدة ! إنها أسعد من على الأرض ! ألا يكفيها أنها تستمتع بحريتها وتعيش إلى جانب الآنسة الفتانة ! .. ألا يكفيها أنها لا تمسك نفسها ساعات طويلة على مقعد الدرس .. ألا يكفيها أنها لا تشغل بالها بقوانين الجبر ، ولا ترهق نفسها بحفظ قواعد

وجلة كلها ولم تبيض إلى الآن .

وقال الحافظ ابن حجر في « الدرر » . إن مصنفاته ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة . وفي « فوات الوفيات » إنها تبلغ ثلاثمائة مجلد .

وقد كثر القول في هذا الرجل بين نقد وجرح وإطراء ومدح ، وأعدل الأقوال هو ما قاله تلميذه ابن كثير : وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ، وممن يخطىء ويصيب ... قال مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

أما « المنتقى » فهو من تأليف جده ، وذلك مشهور .

٢ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

في عدد الرسالة ٧٦١ (وهذه الخمسة أشياء) فهل هذا تطبيع ، والصواب (وهذه الخمسة الأشياء) والأعلى من هذا والأصح (وهذه خمسة الأشياء) أم تذهبون إلى غير هذا ؟

محمد أسامة عليبة

الصرف والنحو! سعيدة أنت أيتها القطة.

وبينا أنا سابح في سماء الخيال؛ وقعت عيني على الساعة فإذا بها تشير إلى الثامنة والربع ... يا للمصيبة! ... أين المدرسة؟. بأي وجه أقابل الناظر؟ ... ومضيت أجر ساقي جراً، وكنت كلما سرت خطوتين تلفت لأرى النافذة ومن وراء النافذة. حتى إذا ما خفي النزل عني عدوت نحو المدرسة ودخلتها متأخراً؛ فاستقبلني الناظر بطلعته الكالحة. وبعد السؤال والجواب سجل لي ما يناسبني من جزاء ثم سمح لي بالدخول إلى الصف.

ودخلت الصف فألفيت زملائي الطلاب ساكتين كأن على رؤوسهم الطير. لقد كان الوجوم يخيم في سماء الغرفة، وكان الصمت يستأثر بالأفواه ... أين هذا الكلوح من تلك البشاشة! وأين هذا التزمت من ذلك المرح؟...

وأخذت مقعدي ورحت أفكر. ولقد كان لي في صمت الطلاب وهدوئهم ما يحملني على الانطلاق في سماء الخيال ... لقد فتحت الكتاب لأتابع الأستاذ في قراءته، ولكن العيون الزرقاء كانت تطالعني من بين الأسطر ... لقد كانت كل كلمة عيناً زرقاء، وكان كل سطر خصلة شقراء. لقد كنت في واد والطلاب في واد. وانتهى الدرس الأول، وتبعه الثاني، وانصرم النهار وأنا لا أعلم كيف انصرم؛ ولكن الذي أذكره هو أنه كان طويلا، وأني لم أفد به من العلم لا كثيراً ولا قليلا.

ورجعت البيت في المساء كاسف البال محطم الأعصاب، ولم أقدر على المطالعة، فأغلقت الكتاب واضطجعت في الفراش ... ولكن أنى للنوم أن يزور الأجفان التي تتطلع من وراء الخيال إلى صورة الحبيب المجهول.

وتوالت الأيام وأنا أزداد بالآنسة شغفاً، وتتابعت الليالي وأنا أطوف حول بيتها لعلي أظفر منها بنظرة. ولكن هيهات! فقد كانت لا تكترث بوجودي، ولا تبالي بمروري وإنما تعتدل في وقفتها فتغلق النافذة ثم تنادي قطتها وتنصرف. وكنت إذا لحظت منها الصدود غضبت وأقسمت أن لا أمر من أمام بيتها، ولكن ما أسرع ما أحنث بهذا القسم فلا أجدني إلا سائراً في طريق بيتها. لقد كانت هذه القصة تتمثل كل يوم، ولكنها تنتهي وكأني لم ألحظ صدوداً ولم أحلف يميناً.

وأقبل الصيف وأغلقت المدارس أبوابها فوجدت في العطلة الصيفية عوناً على تحقيق رغباتي. لقد رحت أقضي الأيام الطوال حول منزل آنستي أستقصي أخبارها وأتنشق عبير رائحتها... ولقد تخطت معرفتي بها الحدود التي كان الربيع قد رسمها فلم أعد أقنع برؤيتها في النافذة، وإنما أصبحت أراها في الطريق رائحة غادية برفقة مربيتها العجوز (نانو).

وإن أنس لا أنس تلك اللحظات التي كنت أقضيها بانتظار خروجها. لقد كانت اللحظة شهراً، وكانت الساعة دهراً، ولكني ما كنت لأشعر بوطأة هذا الطول. فقد كان لي خلفه آمال تعدل كل ما ألقاه من آلام. لقد كنت أنتظر طويلا ثم لا ألبث أن أسمع صوتاً ملائكياً يرن في أذني. إنه صوتها وهي تقول: «نانو ... امشي يا نانو» ثم ينفتح الباب وتخرج منه وهي تخطو خطوة وئيدة وإلى جانبها «نانو» فأقف في الطريق محاولا استدراجها إلى ابتسامة رقيقة. ولكني كنت أعود كل مرة خائباً. فقد كانت تمر بي دون أن تشعر بوجودي أو تفطن إلى عواطفي. وإني لا أزال أعجب لتلك العواطف الجامدة كيف لم تعصف بها نظراتي الحادة، وإني لا أزال أكبر ذلك القلب الهادئ الذي لم تستطع أن تحركه نبرات قلبي المتأججة ...

وقد أوشك الصيف أن ينقضي قبل أن أنتهي إلى نتيجة مرضية، فقد ظل قلب الآنسة بعيداً عن قلبي وبقيت آذانها مغلقة عن سماع صوتي، وقد تراءى لي أنها تكتم عواطفها خوفاً من «نانو» العجوز، فاعتقدت أن الحب يقضي علي أن أستعطف «نانو» وأن أستدر رحمتها.

ولما كان الغد ملت بنظري نحو «نانو» فابتسمت لي وابتسمت لها وقلت في نفسي إنها ولا شك قد أدركت معنى ابتسامتي وفهمت مغزى وقوفي، وتتابعت النظرات والابتسامات ورأيت «نانو» ذات صباح وحدها فدنوت منها وتكلفت من الشجاعة أكثر مما أطيق، ثم اعترضتها وقلت لها: «الهوى صعب يا نانو!» فهزت برأسها هزة العجب والكبرياء ثم أجابتني «والصبر طيب ... طيب يا حبيبي!» ثم مضت لسبيلها وظللت وحدي أفكر في معنى كلمتها ...

(البقية في العدد القادم)

زهدي الشواف